الاحتساب في العصر العباسي

بحث مقدم من قبل الطالب

فائق المشهداني

إشراف

الشيخ فضل الهي

لذا فانها ـ أى الحسبه ـ محور الولايات كلها .

فولايه القضاء مثلا هى امر بالمعروف ونهى عن المنكر بزجر العصاة والمخالفين وانزال الحق بينهم ، والحكم فيهم بما انزل الله تعالى ، وكذا الامامه الكبرى فهى امر بالمعروف ونهى عن المنكر فى اسقاق الحق ، واقامه العدل ، وعون المظلوم ، و تطبيق شرع الله وكذا الوزارة والشرطة ، والجهاد وغيرها من الولايات .

وكما يقول شيخ الاسلام بن تيميه " وجميع الولايات الاسلامية انما مقصودها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر سواء ذلك ولايه الحرب الكبرى مثل نيابه السلطنه والصغرى مثل ولايه الشرطه وولايه الحكم . (١)

وكما يقول ابن القيم رحمه الله " ان معظم الولايات الاسلاميه مشتقه من الحسبه الا القليل الذى يعود الى اثبات الحقوق ، فانه يرد الى ولايه الشهاده " (٢)

ويقول الامام الغزالى رحمه الله فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر " وهو القطب الاعظم فى الدين وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين اجمعين ، لو طوى بساطه ، واهمل علمه لفشت الضلاله وشاعت الجهاله ، وخربت البلاد ، فنعوذ بالله ان يندرس من هذا القطب عمله وعلمه " (٣)

وقد اخترنا بحثنا هذا والذى عنوناه بـ (الاحتساب فى العصر العباسى) .

---

(١) الحسبه فى الاسلام ابن تيميه ص٦ / دار الكاتب العربى

(٢) الطرق الحكميه لابن القيم ص٢٣٨ ط ١٩٥٣ بتحقيق محمد حامد الفقى

(٣) احياء علوم الدين جـ ٢ ص٣٠٦ ط ١٩٨٢

فكونه منصبا على الاحتساب فلاهميته كما اسلفنا ، وفى هذا العصر فلكونه شمل اكثر من خمسمائه عام من تاريخ الامه الاسلاميه ، هذا بالاضافه الى اسباب اخرى تعزز هذا الاختيار منها تسليط الضوء على الحضارة الاسلامية من خلال موضوع الاحتساب اذ برزت قمه الحضارة الاسلامية فى انها لم تهمل شيئا حتى تنظيم الاعمال البسيطة كالحلوانيين وقلائى السمك وغيرهم ، اى ان الشريعة الاسلامية دخلت جزئيات الفرد فنظمتها وفق ما اراده البارى عز وجل .

ثم بالاضافة الى هذا وذاك ، ورغم اهميه الموضوع فقد غابت الحسبه بمفهومها الاسلامى الكامل والذى كانت عليه فى العصور الاسلاميه المتقدمه ، وذابت فى نظم وضعيه افقدتها هويتها الاسلاميه ، وبقيت فى بعض البلاد الاسلاميه طارقه بعض الامور فحدم وجود ولايه متميزه واضحه ، وانضمار اختصاصات المحتسب فى عصرنا الحديث تحت اختصاصات الوزارات والمديريات ادى الى تمييع هذه الولايه . لذا لابد من ارجاع هذه الولايه المهمه الى مكانتها وجعلها تتسع لما جاء به التطور فى عصرنا الحالى وفى حدود الشريعه السمحاء .

وبادى ذى بدء ، لاادعى اننى احطت بكل ما فى العصر العباسى واحصيت ماجرى فيه من احتساب او اسماء للمحتسبين فذلك مطلب عسير ، كما انه من الصعوبه التقاط ملامح للاحتساب فى عصر دام اكثر من خمسه قرون ، ولكنى ساسلط الضوء على الامور التى توصلت

فهى لم تذكر الا عددا قليلا من المحتسبين كما احصيتهم فى هذا البحث ، وفى اكثر الاحيان لا تترجم لهم ، ثم انها كتب تذكر القواعد النظريه التى تشمل التاريخ الاسلامى كلـــــه غير محدد بفترة معينه .

وعلى أيه حال فهو خطوه فى الطريق واسأل الله ان يوفقنى لدراسه الاحتساب بتوسع ودراسه كتب التاريخ والقضاء والحسبه وغيرها للخروج بها مفصله وهو أمل وارجو اللـــــه ان يوفقنا للعمل .

وقد ضمنت البحث خمسه فصول .

الفصل الاول : مفهوم الاحتساب :

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : تعريف الاحتساب لغه واصطلاحات وصور الاحتساب ، والفرق بين المتطوع والمحتسب .

المبحث الثانى : فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واهميته وفضله ودوره فى فى المجتمع المسلم .

الفصل الثانى : حاله العصر العباسى :

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : حاله العصر العباسى السياسيه .

المبحث الثانى : الحاله الاجتماعيه للعصر العباسى .

الفصل الثالث : تطور الاحتساب وكيفيته فى العصر العباسى :

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : تطور الاحتساب حتى العصر العباسى

المبحث الثانى : كيفيه الاحتساب فى العصر العباسى

الفصل الرابع : شروط المحتسب فى العصر العباسى وتكيف طبيعه عمله •

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : الشروط التى كانت تراعى فى المحتسب فى العصر العباسى

المبحث الثانى : تكيف طبيعه المحتسب بين كل والى القضاء والمظالم فى العصر العباسى •

الفصل الخامس : اشهر الكتب والمحتسبين فى العصر العباسى • ويشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : اشهر الكتب التى ظهرت فى العصر العباسى •

المبحث الثانى : اشهر المحتسبين فى العصر العباسى •

ثم • الخاتمـــــــــه •

وفى الختام اسأل الله تعالى أن يجعلنا خدما لدينه وان يرزقنا طاعته انه سميـــع مجيب الدعاء

واما تعريف الحسبه اصطلاحا فقد عرفها كثير من العلماء تعريفات اساسها الامـــر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فيعرفها الماوردى بانها " امر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكـــر اذا ظهر فعله "(١)

وعرفها ابن الاخـــوة القرشى قائلا : هى امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكـر اذا ظهر فعله واصلاح بين الناس " وكذا عرفها الشيزرى.(٢)

وابن تيمه لم يعرف الحسبه وانما ذكر اختصاصات المحتسب فقال :

" فله ـ اى للمحتسب ـ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان "(٣)

وابن خلدون يعرفها بانها " وظيفه دينه من باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر "(٤)

وعرفها الغزالى فقال فى " احياء علوم الدين " بانها " عباره عن المنع لمنكر لحق الله ، صيانه للممنوع عن مقارنه المنكر "(٥)

ومن الاساتذه المحدثين الذين عرفوا الاحتساب الاستاذ المرشد فقال انه " ممارسه تلـــك الرقابه الاداريه بتكليف من الدوله على افعال الافراد وتصرفاتهم بالصبغه الاسلامية امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وفقا لاحكام الشرع وقواعده "(٦)

---

(١) الاحكام السلطانيه للماوردى ص ١٤٠ ، والاحكام السلطانيه لابى يعلى الحنبلى ص٢٨٤ ط ١٩٦٦

(٢) معالم القربه فى طلب الحسبه لابن الاخوه القرشى ص٥١ ونهاية الرتبه فى طلب الحسبه للشيزرى

(٣) الحسبه فى الاسلام ابن تميه ص ٨

(٤) مقدمه بن خلدون عبدالرحمن ابن خلدون ص ١٧٨ / دار الفكر

(٥) احياء علوم الدين ابو حامد الغزالى ص ٢٢٣

(٦) نظام الحسبه فى الاسلام المرشد ص ١٦

وهكذا فالبعض يرى الحسبه رقابه اداريه ، والبعض يراها وظيفه دينيه قائمه على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والاحتساب هو فعل الحسبه او هو ممارسه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وجهار الحسبه او ولايه الحسبه هو بالاضافه الى كونها سلطه اداريه او وظيفه دينيه هى ايضا سلطه تنفيذيه ، ذلك لان المحتسب فى بعض العقوبات ينفذ العقوبه بنفسه بعد ان يُحكم بها ، والعقوبه المقصوده فى هذا المجال — هى العقوبة التعزيريه . وكذلك فا لمحتسب ينفذ الحكم الصادر من المحكمه . فهو فى هذه الحاله يقوم مقام جهاز الشرطه والذى ينفذ احكام القاضى بعد صدورها . وذلك فى عقوبات الحدود والقصاص كالقطع والرجم او القتل او غيرها من هذه العقوبات بعد صدور الحكم من القاضى بهذا الحد . فهنا ينفذ فقط ولا يحكم ، بمعنى اخر هو لا ينظر الى الوقائع والاوراق ومناقشه الشهود وغيرها من اجراءات التقاضى . بل دوره هنا تنفيذ الحد او العقوبه المقرره من القضاء .

اما فى الجرائم التعزيريه فهو ينظر فيها كالجرائم الصغيرة او المخالفات مثل مطل الغنى او التطفيف او الغش والتى قد تصل الى حبس المخالف تعزيرا . او تغريمه دون نظر القضاء فى هذه المخالفات .

وكون الحسبه سلطه تنفيذيه لا يعنى توسعة دائرتها ، وانما للمحتسب النظر فيما

المخالفات الصغيره والتى تحتاج الى السرعه فى الحسم ، وغير المعقده الاجراءات والتى تشغل القضاء عن وظيفته ، وعن النظر فى المسائل الكبيره ـ كالحدود وغيرها من الامور التى تحتاج الى تحقيق واجراءات وشهاده شهود وغيرها من الاجراءات المعقده ـ ليقل الضغط على القضاء من جهه ، وليتوجه الى الامور المعقده من جهه اخرى .

وهو عمل سبق به فقهاؤنا فقهاء القانون الوضعى[1] فبعض فقهاء القانون الوضعى يرون الان انه لابد من رفع قضايا المخالفات ، لينظر اليها قاض خاص حتى لا يشغل القضاء بالامور الصغيرة ويتوجه الى المهام والقضايا الكبيره .

لذا يمكن القول ان الحسبه كوظيفه هى رقابه اداريه وسلطه قضائيه وجهاز تنفيذى قائم على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

صورتا الحسبه

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز (والمؤمنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاه ويطيعون الله ورسوله)[2]

ويقول تعالى فى وصيه لقمان لولده (وامر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور)[3]

يقول بن تيميه " وهذا ـ اى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذى لم يقم به غيره . والقدره هو

---

(١) القانون الوضعى يقسم الجرائم الى ثلاثه اقسام (١) الجرائم (٢) الجنح (٣) المخالفات وهذه الاخيرة هى اقل الجرائم خطورة واقلها عقوبه .

(٢) سورة التوبه آية : ٧١

(٣) سورة لقمان آية : ١٧

السلطان والولايه ، فذوو السلطان اقدر من غيرهم من الوجوب ما ليس على غيرهم (١) .

ولما كان السلطان منشغلا بالامامه الكبرى ورعايه الامه فله ان ينيب عنه سواه فسى ولايه الحسبه ليتفرغ الى غيرها من مهام السلطه مستعينا فى هذا باهل الصدق والعدل ويطلق على متولى الحسبه بتكليف من السلطان " المحتسب " (٢)

ومع هذا التعيين لطائفة من الامه للقيام بهذه الوظيفه بصورة رسميه وبتكليف من السلطة فان مهمه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا تسقط عن المسلمين اذا يبقى المسلم يعمل بهذا المبدأ على سبيل " التطوع " لا " التوظيف " .

ومن هنا يبرز لنا ان الحسبه نوعان هما قيام المحتسب بها ، وقيام المتطوع بها . اولها باذن الامام او الوالى وثانيهما تلقائيا امتثالا لما فرضه الله ورسوله .

فالمتطوع هو الشخص الذى يامر بالمعروف وينهى عن المنكر طلبا للاجر من الله ودون اذن السلطه ، والمحتسب هو الشخص المعين من قبل السلطان .

وهنا لابد من معرفه الفرق بين كل من المتطوع والمحتسب .

الفرق بين المتطوع والمحتسب :

لقد اورد الامام الماوردى وابو يعلى الحنبلى فى كتابيهما " الاحكام السلطانية " فروقا بين المحتسب والمتطوع اوصلوها الى تسعه فروق .

---

(١) الحسبه فى الاسلام ابن تيميه ص ٦ دار الكتاب العربى

(٢) نظام الحسبة فى الاسلام د . عبدالفتاح الصيفى ص ٥

(١) ان الاحتساب فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية فلا يجوز ان يتشاغل عنه وفرضه على المتطوع داخل فى فروض الكفاية فيجوز ان يتشاغل عنه لغيره .

(٢) انه منصوب للاستعداء اليه فيما يجب انكاره ولذلك فعليه ان يجيب من استعداه وليس ذلك للمتطوع لانه ليس منصوبا للاستعداء .

(٣) يجب على المحتسب البحث عن المنكرات الظاهره فيصل الى انكارها ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر فيامر باقامته وليس على غيره من المتطوعه بحث ولا فحص .

(٤) له ان يعزر فى المنكرات الظاهرة لا يتجاوز الى الحدود وليس للمتطوع ان يعزر على المنكر

(٥) للمحتسب ان يتخذ على انكاره اعوانا لانه عمل هو له منصوب واليه مندوب ليكون له اقهر وعليه اقدر وليس للمتطوع ان يندب لذلك اعوانا .

(٦) ان للمحتسب ان يرتزق على حسبته من بيت المال ، ولا يجوز للمتطوع هذا .

(٧) للمحتسب اجتهاد رايه فيما تعلق بالعرف دون الشرع كالمقاعد فى الاسواق واخراج الاجنحه فيه فيقر وينكر من ذلك ما اداه اجتهاده اليه وليس هذا للمتطوع .(١)

وقد اضاف استاذنا الصيفى فروقا اخرى منها :

" التكليف " فهو يرى انه يشترط فى متولى الحسبه ان يكون مكلفا ، لان الحسبه واجب عليه فى جميع الحالات ، ويرقى الواجب بالنسبه له الى مرتبه الفرض العينى . ويشترط للتكليف

---

(١) الاحكام السلطانية الماوردى ص ٢٤٠ بيروت ط ١٩٧٨ ابويعلى الجبيلى ص ٢٨٤ دار الفكر ط ١٩٧٤م

الاسلام والبلوغ والعقل ، اما بالنسبه للمتطوع للحسبه فلا يشترط فيه من التكليف الا الاسلام والعقل ، دون البلوغ ، لان الحسبه بالنسبه له قربى الى الله تعالى وهو من اهلها ، وليست ولايه حتى يشترط فيها التكليف بعناصره الثلاثه (١) .

وكذلك هناك فرق بينهما فيما يتعلق " بالاختصاص" وللاختصاص جوانب ثلاثه اختصاص يتعلق بالنوع" واخر يتعلق "بالمكان وثالث يتعلق " بالزمان "

فاذا اسندت الحسبه الى محتسب فانه يتقيد في ممارسته لوظيفته بجوانب الاختصاص الثلاثه السالف ذكرها . بحيث لا يجوز ـ بصفته محتسبا ـ ان يتجاوزها فان تجاوزها فان له الانكار ، ولكن بصفته متطوعا لا محتسبا .

وبناء على هذا فاذا استندت الحسبه الى محتسب ، وحدث له صلاحيه تفقد احوال السوقه في معاملاتهم واعتبار موازينهم ومكاييلهم وغشهم فيها وتدليسهم ومراعاة ما تجرى عليه امورهم ، وهذه جميعا من ضروب الاختصاص النوعي " لتعلقه بنوع الفعل محـــــل الاحتساب او اسندت اليه الحسبه في سوق معينه دون سواها او في منطقه معينه من المدينة دون غيرها وهذا هو الاختصاص المكاني " .

او اسندت اليه خلال موسم معين او اثناء مناسبه معينه محدده ، او فترة بذاتها وهذه جميعا امثله للاختصاص الزمني " .

ففي هذه الحالات جميعها ينبغي للمحتسب ان يراعي هذه الاختصاصات ولا يتجاوزها فان تجاوزها اخذحكم المتطوع من عامه الناس ووجب عليه ان يتقيد بما يتقيد به المتطوع (٢) .

وعملية الاحتساب التي نحن بصددها تشمل ما يقوم به المحتسب والمتطوع .

---

(١) نظام الحسبه في الإسلام د . عبد الفتاح الصيفي صـــ ١٤ /مذكره لسنه ١٣٩٦هـ

(٢) المصدر السابق صـــ ١٥

المبحث الثاني

" في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اهميته ، وفضله ودوره في بناء المجتمع المسلم "

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اصل من اصول الحضارة الاسلاميه ومبدأ مهم من مبادئ الاسلام العامه في مجال الاخلاق او التشريع ، فهو جهاد دائم في حياة الفرد والامه ، وهو صمام الامان فيها ،

فيه تصلح الحياة وتستقيم ، ويعيش الناس امة واحدة .

ولكي ندرك اهميه هذا المبدأ ، فلا بد لنا من استعراض بعض النصوص القرآنيه ونصوص السنه الشريفه ، والتي امرت به وحثت عليه وبينت اهميته وفضله .

فالقرآن الكريم دل على فعل الاحتساب باساليب متنوعه ، فطورا يامر به وتاره يجعله وصفا للمومنين . وفي بعض المواطن يبين القران ان الغايه من التمكين في الارض والظفر بالسلطان والحكم ، هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وان ترك ذلك سبب لاستحقاق اللعنه .(١)

قال تعالى (ولتكن منكم امه يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون)(٢) ويقول تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(٣) وقال تعالى (الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الامور)(٤)

وقال تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)(٥)

---

(١) اصول الدعوه عبدالكريم زيدان ص ١٦٥ ط ١٩٧٦م

(٢) ال عمران ايه : ١٠٤

(٣) التوبه ايه : ٧١

(٤) الحج ايه : ٤١

(٥) المائده ايه : ٧٨ ، ٧٩

وفى وصيه لقمان لابنه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتحمل لما يتعرض له فى سبيل ذلك ومن جزاءه . قال تعالى :

(يابنى اقم الصلاه وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور)(١)

يقول الجصاص فى " بيان هذه الايه " وقد اقتضت الايه وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر "(٢)

ويقول العلامه الالوسى فى تفسيره

" واقامه الصلاه فى وصيه لقمان مقرونه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحق انهما عنوانان لتكميل الذات وتكميل الغير " يابنى اقم الصلاه " تكميلا لنفسك " وامر بالمعروف وانه عن المنكر " يكملا لغيرك "(٣) .

وذكر القرطبى فى بيان الخيريه لهذه الامه ﴿كنتم خير امه اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ يقول صرح لهذه الامه ما اقاموا ذلك ـ ان انهم يتصفون بهذا الخير ماداموا مطبقين ما امر الله به ـ واتصفوا به فان تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذل وكان ذلك سببا لهلاكهم "(٤)

وقد جعل الله تبارك وتعالى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر صفه من صفات المومنين . قال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين)(٥)

---

(١) لقمان ايه : ١٧

(٢) احكام القران لابى بكر احمد بن على الجصاص جـ ٢ صـ ٣٥١ دار الكتاب العربى / بيروت

(٣) روح المعانى للالوسى جـ ٢١ صـ ٨٩

(٤) الجامع لاحكام القران القرطبى جـ ٤ صـ ١٧٣ دار احياء التراث العربى / بيروت

يقول ابن كثير فى تفسيره عند تعرضه لهذه الايه :

" هم مع ذلك ـ اى مع صفاتهم السابقة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ ينفعون خلق الله ويرشدونهم الى طاعه الله بامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغى فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله فى تحليله وتحريمه علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال تعالى (وبشر المومنين) لان الايمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعاده لمن اتصف به)[١]

ولخص ذلك الالوسى رحمه الله فقال :

كانه قيل " الكاملون فى انفسهم المكملون لغيرهم "[٢]

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بالاضافة الى ذلك سبب للنجاة فى الدنيا والاخرة قال تعالى (فلما نسوا ماذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون)[٣]

والنصوص القرانيه كثيرة فى هذا الباب نكتفى بما سبق فيها لنعرج الان على بعض نصوص السنه النبويه . فقد وردة احاديث كثيرة فى أهمية الامر بالمعروف وفضله نذكر منها ماياتى :

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان "[٤]

---

(١) تفسير القران العظيم ابن كثير جـ٢ ص ٣٩٢ دار الفكر

(٢) روح المعانى الالوسى ١١/ص ٣٢

(٣) الاعراف ايه : ١٦٥

(٤) رواه مسلم /كتاب الايمان باب بيان كون ان النهى عن المنكر من الايمان ، بجلد الاول جـ١ ص ٥٠ (دار المعرفه) بيروت .

وهكذا فالفرد في المجتمع المسلم حارس امين لوحدة المجتمع والحفاظ على امنه ونظامه وسلامته ، وفي بيان الحاجه الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد وضح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وضرب لذلك مثلا :

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينه فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان يتركهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا "(١).

فهنا يمثل لنا صلى الله عليه وسلم المجتمع الاسلامى بالسفينة وتبرز هذه الصورة الجليه للتكافل الاجتماعى والمحافظه على المجتمع من ان يغرق فى المنكرات فينتشر الفساد وتخرب البلاد ، ان ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يودى بحياة المجتمع وسلامته ، وان اى تهاون فيه معناه اغراق السفينه بالجميع الى القاع ، وان يصبح الجميع من الهالكين

ولذلك نرى الخليفه الصديق رضى الله عنه حينما رأى الناس يتقاعسون عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم بحجه ان عليهم انفسهم ، فليتج كل انسان بنفسه ولاحاجه به لغيره . فتراه يصحح لهم المفاهيم ، التى تعلمها من الرسول صلى الله عليه وسلم ويوضح لهم الصورة الصحيحه فى ذلك :

---

(١) رواه البخارى . كتاب الشركة باب ٦ / هل يقرع فى القسمه والاستهام فيه جـ٣ ص ١١١ المكتبة الاسلامى . استنطبول ـ تركيا

فقد ورد فى الحديث الشريف ان ابابكر قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال " ايها الناس انكم تقرؤون هذه الايه " يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذ اهتديتم "(١) وانا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا المنكر لا يغيرونه اوشك ان يعمهم الله بعقابه" وفى روايه " اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه "(٢)

هذه الاحاديث وغيرها الكثير تبين لنا اهميه وفضل هذا المبدأ العظيم ، وانه ضمان لسعاده الفرد والمجتمع وانه يثبت معانى الخير والصلاح فى الامه وينزيل عوامل الشر والفساد منها ، لتسلم الامه وتسعد ، وهو ينشئ الجو الصالح الذى تنمو فيه الاداب وتسمو فيه الاخلاق الفاضله والاداب الحميده ، وتختفى منه المنكرات والرذائل وتتربى فى ظله النفس العفيفه والوجدان اليقظ الذى لا يسمح للشر ان يبدأ فضلا ان يبقى او يمتد .

وكما يقول الاستاذ عبد المنعم عبد الستار ،

وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون الراى العام المسلم الحر الذى يحرس اداب الامه وفضائلها واخلاقها وحقوقها ويجعل لها شخصيه وسلطانا، هو اقوى من القوه وانفذ من القانون وهو يبعث الاحساس بمعنى الاخوه والتكامل والتعاون على البر والتقوى والاهتمام بالمسلمين وذلك مما يوطد الامن ويبعث الطمأنينه على الحقوق والحرمات وانها فى حراسه الامه وباعينها مما يؤكد الثقه والمحبه والاعتزاز بالجماعه فى قلوب المومنين .

---

(١) الايه : ١٠٥ من سورة المائدة

(٢) رواه بن ماجه فى سننه / باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر جـ٢ص١٣٢٧ ط١٩٥٣م دار احياء الكتب العربية /رواه الترمذى كتاب تفسير القران باب ٦ (من سورة المائدة/جـ٥ ص٢٥٧ ط ١٩٦٥م مكتبه مصطفى الحلبى واولاده بمصر.

كما ان له اثره التشريعى كمصدر قانونى لحراسه جميع الشؤون العامه والخاصه فى الامه اذ انه الاصل الذى اكتسب منه الكثير من التنظيمات والتشريعات الصفه القانونيه واعتمدت عليه فى انشاء انواع المراقبات والتفاتيش المختلفه على الاسعار والغش والمرور والمبانى والنواحى الصحيه والشؤون الماليه والادارية والاداب العامه وغيرها وكل هذه الاعمال تقوم باسم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومنه تكسب الصفه القانونيه الشرعية (١) .

اذن ففيه يمكن الحفاظ على المشروعيه من ان تخرق ، وذلك عن طريق الرقابه العامه من قبل كل مسلم فى المجتمع . فلا يستطيع احد الخروج على التشريع الذى وضعه الله سبحانه وتعالى ، وكل فرد فى المجتمع له الحق فى الرقابه على تنفيذ القوانين ، فهو يحاسب من يخالف الشرع كائنا من كان حاكما ام محكوما . سيدا ام مسودا . وكذلك هو يحتم على كل مسلم ان يكون رقيبا على ما يجرى من اعمال ويزن كل ذلك بميزان الشرع الحنيف .

ثم الامر بما خفى من معروف والنهى عما ظهر من منكر على اساس العلم والمعرفه . وهو بذلك يضيف قوه الى قوه المسلمين ، كما انه يرغم انف النفاق ويذل اهله ، واهمال عزل الفاسقين يطغى على قوة المسلمين بمرور الزمن ، اذ ان المنافق لا يهمه ان ينهى المنكر وبذلك يصبح المومن من اهل الفضول اذا غير هذا المنكر والمعصيه اذا ظهرت اضرت العامه

ضررا بالغا ، لذلك يقول ابو بكر الخلال عن سفيان " اذا امرت بالمعروف شددت ظهر المومن واذا نهيت عن المنكر ارغمت انف المنافق ....

وفيما رواه عن احمد بن حنبل ان المنافق اذا اختلط باهل الايمان فاثمرت عداوته صار المومن بين الناس مثل الجيفه ، لان المنافق يصمت عن المنكر واهله ، فاشتهر بين الناس بالبعد عن الفضول ، وسموا المؤمن فضوليا "(١)

وهنا نجد اهتزاز القيم اذا يصبح المومن بتغيره المنكر فضوليا لان الناس تعارفوا على المنكر ، وهذه بوادر سقوط المجتمع وسقوط حضارته .

وعلى عكسه فان اعمال هذا المبدأ هو الحفاظ على القيم والاخلاق الفاضله وعلى المجتمع من التشقق والتردى والحفاظ على الحضارة الاسلامية من الدمار . وبهذا تبرز اهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضله فى بناء اصلاح المجتمع المسلم .

---

(١) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لابى بكر الخلال ٣١١ تحقيق عبد القادر احمد ص ٤٦

الفصل الثانـــــــــــــى

حاله العصر العباســـــــــــى

ان دراسه الاحتساب لهذا العصر يستدعى منا دراسه العصر نفسه ، ونقتصر فـــى هذا البحث على دراسه الحاله السياسيه والاجتماعيه للعصر العباسى لما لهما مـــــن اهميه خاصه فى الاحتساب وان كانت الجوانب الاخرى لا تقل اهميه عنهما •

وقد جعلنا لهذا الفصل مبحثين •

المبحث الاول وتطرقنا فيه الى حاله العصر السياسيه والمبحث الثانى حاله العصر الاجتماعيه

المبحث الاول

• الحاله السياسيه للعصر العباســـــى •

ان دراسه الحاله السياسيه للعصر العباسى تقتضى ان نفرق بوضوح بين عهد كانت الكلمه فيه والحكم والسلطان لبنى العباس وعهود اخرى تلته لم يكن لهم فيها الا الاسم ، اى ان السلطه انتزعت من ايديهم •

• لقد انتهت دوله بنى العباس الحقيقيه مع المعتصم ، مصرعه كان مصرعها فلم يكن لهـــم بعدها من دوله ابداً •(١)

يقول د • شاكر مصطفى • لقد اعتاد الكتاب ان يقسموا تاريخ العباسيين الى فترات اربع

١ ــ العصر الاول او العصر الذهبى • (١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ)

٢ ــ العصر الثانى ــ العصر التركى • (٢٣٢ ــ ٣٣٤ هـ)

---

(١) دوله بنى العباس د • شاكر مصطفى جـ ١ صـ ١٧٨ الكويت ط ١٩٧٣ م •

٣ ـ العصر الثالث ـ العصر البويهى • (٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ)

٤ ـ العصر الرابع ـ العصر السلجوقى (٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ)

والخطوط العامه لهذا التقسيم صحيحه غير ان التاريخ الاسلامى بعد العصر الذهبى لم يكن اكثر من سلسله اسماء للخلفاء ، وقد سقط السلطان الحقيقى للعباسيين منذ مطلع العصر البويهى • (١)

وهكذا نجد انفسنا امام فترتين لهذا العصر ، الفترة التى سماها المورخون بالعصر الذهبى او عصر الازدهار ، وفترة ضعف الخلافه او عصر الانحطاط ، والتى تنتهى بسقوط بغداد عاصمه الخلافة العباسيه ودخول التتار سنه ٦٥٦هـ ، واذا كان كتاب التاريخ يختلفون فى تحديد العصر الذهبى او عصر الانحطاط • والذى يراه بعضهم بذهاب المعتصم وبعضهم بذهاب المستكفى فهذا لا يهمنا كثيرا هنا ، لاننا ننظر الى العصر نظره عامه غير مقيده بخليفه بعينه •

واذا كان الكثير من الكتاب لا يرون من هذا العصر الا الصوره القاتمه البعيده عن روح الاسلام ، فهذا غير صحيح ، لاننا لو فصلنا هذه الفترة من تاريخ الامه ، وكذلك تناسينا تاريخ الدوله الاموية ، بحجه انهما بعيدان عن الاسلام فما بقى لنا من التاريخ الاسلامى • وهل التاريخ الاسلامى يمثل العصر النبوى والراشدي فقط ؟

ان العالم الاسلامى مايزال الى يوم الناس هذا محاله على ذلك العصر ، بالذات فى

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٨ ، والبعض يقسمون غير هذا التقسيم ـ انظر محاضرات تاريخ الامم الاسلامى ـ الدوله العباسية ـ الشيخ محمد الخضرى بك ص ٤٨٦ / وانظر حضاره العرب فى العصور الاسلاميه الزاهره • د • مصطفى الرافعى •

مفهومه عن الاسلام ، فقه هذا الدين انما تبلور واجتمعت مادته في ذلك العصر كان هو المتن وما كان بعده فانما هو شروح ورقص على الهوامش[1]

بل ان جل العلماء ظهروا في هذه الفترة ، وقد جذوا انفسهم لخدمه الدين الحنيف كالامام مالك وابي حنيفه والشافعي واحمد بن حنبل وسفيان الثوري والاوازعي وغيرهم الكثير الكثير ، فضلا عن ظهور الحضارة الاسلامية في هذا العصر باحلى وابهى صورها بما في ذلك الازدهار العمراني لقد تولى العباسيون الخلافه سنة (١٣٢) حيث بويع لاولهم – ابي العباس السفاح – بالكوفه واستمرت خلافتهم الى سنة ٦٥٦ هـ حيث سقط عبدالله المعتصم قتيلا بين يد هولاكو خان المغولي – من اعقاب جنكيز خان موحد التتر – الخان بهم الى بلاد الاسلام فسقطت بغداد عاصمتهم زهرة الشرق .

" لقد استمرت خلافتهم اربعا وعشرين وخمسمائه سنه استخلف فيها سبعة وثلاثون خليفه ، ومكثت الدوله مائه سنه لخلفائها الكلمه العليا والسياده العامه على جميع العالم الاسلامي ماعدا الاندلس ، يقولون فيسمع لهم ، ويامرون فيأتمر الناس .

وينتهي دور الازدهار بوفاة الواثق سنة اثنين وعشرين ومائه ، ثم جاء بعد ذلك قرن اخذت الدوله منه بالتردي شيئا فشيئا ، ضعفت تلك المكانه التي كانت لهم في نفس الامه الاسلاميه ، واجترأ الامراء بالاطراف على الاستقلال وصار امر العباسيين يضمحل حتى لم

---

(١) دوله بني العباس شاكر مصطفى ص ٤ ط الاولى / الكويت .

يبق بيدهم الا العراق وفارس والاهواز . وهذه مملوءه بالاضطرابات والفتن ، والذى كان يسمى فترة " امره الامراء " وجاء بعد ذلك البويهيون منه اربع وثلاثين وثلا ثمائه وبدأ دور ثالث ليس للخليفه فيه الا اسم الخلا فه ، وصار الخليفه كانه موظف للسلطان البويهى ليس له الحق فى التصرف فياتمر ويفعل مايراد منه ، وليس له فى نفس الحالكين شى من السلطان الدينى لمباينتهم له فى العقيده ، فقد كانوا شيعه غلاه يدينون بفضل على وال بيته على من عداهم ، وانما رضوا ببقاء الخليفه العباسى ليكون امره عليهم هنيا يبقونه متى راوا فى بقائه خيرا . ويعزلونه او يقتلونه متى راوا فى ذلك مصلحتهم .

ثم جاء بعد ذلك دور اخر انتقل السلطان الفعلى منه الى امه تركيه يمثلها سلطان من ال سلجوق . كان بنو العباس فى هذه الدوله احسن حالا منهم من بنى بويه ، فان هولاء كانوا يحترمون الخلفاء تدينا ، وبعد ذهاب العهد السلجوقى مكث العباسيون ستا وستين سنه لم يكونوا فيها تحت سلطان احد ، بل كانوا مستقلين بملك العراق الى ان قام المغول بحركتهم والتى بدأت باقصى تركستان وعصفت ريحهم على البلاد الاسلاميه ، وسقطت بذلك دوله الخلافه " (١)

لقد بقيت دوله بنى العباس على نهج الخلافه الاموية فى كونها وراثيه ، وان عصر موسسها الاول عبدالله السفاح كان عصر تصفيه وتثبيت لاركان الدوله ، ويعتبر ابو جعفر المنصور هو

---

(١) محاضرات تاريخ الامم الاسلاميه الدوله العباسيه الشيخ محمد الخضرى بك
ص ٤٨٤ ـ ٤٨٦ (باختصار)

الموسس الحقيقى للدوله فقد تصدى لمشاكل كثيره وتغلب على الكثير منها .

فقد قضى على ابى مسلم الخراسانى ، وقضى على ثوره محمد النفس الزكيه عام خمس واربعين ومائه للهجره .

لقد كان من ميزات العصر السياسيه زحف العناصر الايرانيه ، وكان هذا الزحف متدفقا بدأ بابى مسلم الخراسانى وانتهى بظهور الامراء المستقلين الذين اصبح بايديهم توجيه امور الدوله ، كان الزحف اكثر من المتوقع ، فقد تسربت العناصر الايرانيه الى جميع الوظائف الصغرى فى الاقاليم ولم يقتنعوا بهذا بل بدأوا يقولون بعض المناصب الخطيره ذات الاثر فى توجيه الدوله مثل منصب قائد الجيش او الوزير واصبحت بمضى الوقت هذه العناصر اليد الضاربه للخلفاء العباسين (١) .

فعلى سبيل المثال الافشين - حيدر بن كاوس - عين قائدا للجيش فى زمن المعتصم حيث غضب عليه المعتصم وسجنه وضيق عليه الى ان مات " واتى باصنام من داره اشبهم بعبادتها فاحرقت " (٢) .

ثم جاء الاتراك فتحكموا فى امور الدوله وتدخلوا فى سياستها ، ولما خرج المتوكل عن طاعتهم قتلوه (٣) .

كان العصر العباسى الاول يمتاز بقوه الخلافه ، وتمركز السلطه بيد الخلفاء ، فاحتفظت

---

(١) العالم الاسلامى فى العصر العباسى د . حسن احمد محمود ص ١٥٢

(٢) البدايه والنهايه جـ١٠ ص ٢٩٣ / شذرات الذهب جـ٢ ص ٥٨

(٣) العالم الاسلامى فى العصر العباسى د . حسن احمد محمود ص ١٣٧

الدوله بوحدتها تحت الحكومه المركزيه في بغداد ، باستثناء الاندلس وجزء من الشمال الافريقي .

" ولكن في عصر الانحطاط او الضعف انتقلت الدوله الى اللامركزيه في نظام الحكم ، وقامت دول وامارات مستقله استقلا كاملا او جزئيا مع الاعتراف بسلطان الخلافه وان كانت قد حافظت على ولائها واعترافها بالسياده الروحيه للخليفه العباسي ومن هذه الدول ، الدوله الاغلبيه التي اقامها ابراهيم بن الاغلب في افريقيا ـ تونس الان ـ والدوله الطاهرية التي اقامها الطاهر بن الحسين في خراسان "(١) اما الاندلس فقد انفصلت انفصالا تاما من الخلافه العباسيه حيث استقل بها عبدالرحمن الداخل .

ولقد حاول بعض الخلفاء في حاله ضعف الخلافه ارجاع الامر الى ما كان عليه من القوه والعزه كما هو الحال بالنسبه الى المهتدي بالله والذي يقول عنه السيوطي " المهتدي بالله الخليفه الصالح محمد بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد كان ورعا متعبدا عادلا قويا في امر الله بطلا شجاعا ولكنه لم يجد ناصرا ولا معينا "(٢)

لقد بدأ هذا الخليفه بعمليه الاصلاح السياسي والاجتماعي . وكادت سياسته توتي ثمارها لولا الاحوال العامه ، كالثوره العامه في بغداد ، وابائهم ان يبايعوا له ، وثوره الزنج ، والتي هددت الدوله الاسلاميه زهاء اربعه عشر عاما (٢٥٥ ـ ٢٧٠ هـ) ، "كما

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٤

(٢) تاريخ الخلفاء السيوطي ص ٣٣٤

ان المهتدى بالله كان محاطا بطلمه من الاتراك لم تترك له سبيلا للاصلاح ، هولاء الذين اسرف قوادهم في حبهم لجمع المال وجشعهم للحصول عليه ، والتى كانت نهايه المهتدى بالله على ايديهم فقتلوه ".(١)

طالعنا العصر العباسى بخلفاء اقوياء ثبتوا اركان الدوله واسدلوا عليها ثـــوب العزه والمنعه . واذا ذكر العصر العباسى تراءت امام الانظار صوره الرشيد والمامون والمعتصم فهارون الرشيد يعتبر واسطه العقد ، وقد نسجت عنه اساطير " الف ليله وليله " والتـــى تبلورت في اذهان الناس على انه كان خمارا مسرفا زيرا للنساء الى غير ذلك من الروايات التى طعنت في شخصيه الرجل . وكان في الحقيقه يقوم بدور درع الدوله متنقلا غازيا حاجا ، قال الفضل بن عياض للرشيد " حسابك الخلق كلهم عليك ، فبكى الرشيد وشهق ثم بكى الفضـــل حتى جاء الخدم فحملوهما ".(٢)

لقد كان رجلا مومنا ملتزما بدينه مجاهدا في سبيله كما كان محبا للعلم والعلماء معظمـا لشعائر الله على عكس ما صورته قصص الف ليله وليله ، او كما صوره كتاب الاغانى لابى فـــرج الاصفهانى ، الذى يقول عنه الامام الذهبى في " ميزان الاعتدال "

" ان الاصفهانى في كتاب الاغانى كان ياتى بالاعاجيب بحدثنا واخبرنا " وقال عنه شيعى وكتب مالا يوصف حتى لقد اتهم وقيل عنه اكذب الناس ، وقيل خلط قبل موته وقيل لم يكن احـد

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٩

(٢) النجوم الزاهره ابن تغرى بردى جـ٢ ص ١٢٣ ط الاول ١٩٣٠ م ــ ١٣٤٩ هـ مطبعه دار الكتب المصرية

اوثق منه (١)

ويذكر ياقوت الحموى عن الاصفهانى انه " كان الناس يصبرون عن مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من امره . لانه كان وسخا فى نفسه ، ثم فى ثوبه وفعله ويذكر منه روايات واخبار عن فحشه وشربه للخمر وكذبه (٢) .

ان من يقرأ الاغانى وغيرها من امثال هذه الروايات يرى ان حياة العباسيين كلها حياة لهو ومجون وغناء وهذا غير صحيح (٣) .

وكذا المعتصم فاتح عموريه والمامون موسس بيت الحكمه ، وما وقع منه فى محنه الامام احمد وتبنيه راى المعتزله ودعوته الى بدعه خلق القران استزلال شيطان لم يجتث الفضل كله بل ابقى منه بقيه .

ومهما وقع من انحرافات من بعض خلفاء بنى العباس وابتعادهم من منهج الله لا يخرجهم عن مظله الاسلام ، بل لكل منهم ماقدم وحسابهم على الله .

ولقد بقى المسلم فى هذه المملكه الواسعة يستطيع ان يرتحل فى ظل دينه وتحت رايته وفيها يجد الناس يعبدون الاله الواحد الذى يعبده ويصلون كما يصلى ، وكذلك يجد شريعه واحده وعرفا واحدا ، وكان يجد قانونا واحدا يضمن للمسلم حق المواطنه بحيث يكون آمنا على حريته الشخصيه دون ان يمسها احد (٤) .

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبى جـ٣ / تحقيق على محمد البجاوى

(٢) معجم الادباء ياقوت الحموى جـ١٣ صـ٩٤ ، ١١٧ ، ١٢٣

(٣) للمزيد يراجع كتاب هارون الرشيد امير الخلفاء لشوقى ابوخليل

(٤) الحضارة الاسلاميه فى القرن الرابع عشر آدم متز صـ٢٢ تعريف عبد الهادى ابوريدة ط ١٩٦٧م

المبحث الثاني

الحاله الاجتماعيه للعصر العباسي

انتقلت الخلافه الى بنى العباس ، ورأى العباسيون ان يتخذوا العراق عاصمه لهم واصبحت بغداد حاضره الخلافه الاسلامية ، ومثلت الخلافة اكثر من خمسه قرون تبنى حضارتها في وقت كان الغرب يعيش في دياجير الظلام .

وكما شوه التاريخ السياسى للدوله العباسيه وبولغ فى انحرافه على يد المستشرقين الذين لم يظهروا الا الصوره السيئه السوداء ، كذلك شوهت حاله العصر الاجتماعيه كما الذى يطالع ما كتب عن الحاله الاجتماعيه للعصر يجد ان العباسيين كانوا يعيشون فى لهو وخمر وغناء خصوصا ما كتبه المستشرقون الذين اخذوا يستشهدون الروايات الضعيفه من كتب الادب والكتب غير المعتمده ليعرضوها على المسلمين على ان هذا هو تاريخهم .

والحق اننا لا ننكر خط الانحراف لدى بعض الخلفاء او بعض شرائح المجتمع ولكن من الانصاف ذكر النقاط البيضاء بجانب هذه الانحرافات كذلك ، وهذا هو المنهج المنطقى لقد اخذ هؤلاء الكتاب عبارات " الاغانى " " والف ليله وليله " وغيرها واخرجوها للناس على انها هى صوره العصر الاجتماعيه .

ولماذا نترك هذا الكلام عائما لا يستند الى دليل ، فاليك ماقاله احد المستشرقين يصف جزءا من الحياه الاجتماعيه للعصر .

يقول " وشهدت بغداد السامره محافل الخلفاء ومجالسهم ، فبعد صلاه العشاء الورعه ، تنشد الاغاني وتدار كؤوس الراح خلال ذلك ، يعطر الجو بانسام عبقه تتصاعد من المبخرات ، ويختلط على رنين قطرات الينابيع ويهتز الجو طربا للاصوات القويه المغرده المنبعثه عن افواه المغنيات والحان الاعواد .

وقد تعترض هذه الحفلات اليوميه حادثه غير متوقعه فتكسبها طرافه كاستجواب سجين لبق ذي فصاحه مفحمه ، او زياره ناسك متسول ذي كبرياء وفضائله ، وقد يحز راس بينما تدور الاقداح . وتقترب الليله من نهايتها ، فيثقل الخمار قلوب النشاوى ، وفي الختام يبزغ الفجر باضوائه فيودي صلاه الصبح اولئك الذين فيهم بقيه من وعي بخشوع وتقوى "(١)

ولا ندري كيف ينعم المخمور بصلاة مفحمه بالخشوع والتقوى ، انه جزء من الصورة السوداء القاتمه لوصف الحاله الاجتماعيه من قبل هولاء .

ثم يستطرد قائلا " وقد ورد وصف هذه الحياه الحافله من الف ليله وليله والاغاني وفي روايات المورخين وقصائد الشعراء "(٢) اهـ .

وكما ذكرنا آنفا ان العصر لا يخلو من هنات وانحرافات ففيه من هذا ما ذكرته الكتب والاثار الصحيحه والمعتمده ، فقد ذكر الطبري ان المعتصم كان يستمع الى القيان " فعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي انه قال اتيت امير المومنين المعتصم بالله يوما وعنده قينه كان

---

(١) النظم الاسلاميه موريس غيد يموبين نقله عن الفرنسية صالح الشماع ص٣٢/ط١٩٥٢م بغداد .

(٢) المصدر السابق .

معجبا بها وهي تغنيه ، فلما سلمت واخذت مجلسا ، قال قد مى فيما كنت فيه فغنت . (١) هذه وغيرها من الروايات والتي نجدها في كتب التاريخ المعتمده ، لا يطمس الجانب الايجابي والذي يتمثل في الحضارة الشامخه ومجالس العلم والورع والجهاد وغيرها .

والى جانب الروايه السابقه في الطبري نجد روايات على عكسها تماما . فقد اورد الطبري جديه اباجعفر المنصور وتركه للهو فقال :عن يحيى بن المسلم " لم ير في دار المنصور لهو قط ، وكان يكره اللهو واللعب والعبث ، وسمع يوما جلبه في دارة فقال ما هذا قالوا خادم جلس بين الجواري ، وهو يضرب لهن الطنبور ومن يضحكن فقام اشرف عليهم فرآهم ، فلما بصروا به تفرقوا ، فامر فضرب راس الخادم بالطنبور حتى انكسر الطنبور ثم امر بالخادم فبيع " (٢) هذا ولاننسى للمنصور قربه للعلماء رحمهم الله واغطياهم لهم .

كما ان العباسيين اهتموا بالاصلاحات والانشاءات فقد سجل العصر العباسي بضروب مختلفه من العمران وانتشر في ارجاء الدوله العباسيه مما ادى الى ازدهار الحضارة والمدنية .

يقول د . على الخربوطلي " امتلات خزائن بيوت الاموال في الدوله العباسية في عهد المنصور الاموال فقد كان حريصا مقتصدا في النفقات ولذا خلف للمهدي اموالا

---

(١) تاريخ الامم الملوك للطبري جـ١١ صـ٩ طـ١ دار الفكر ببيروت .

(٢) نفس المصدر السابق جـ٩ / ٢٩٤

طائله انفقها المهدى فى رد المظالم وفى القيام بالمشروعات العمرانيه ، وفى تحقيق الرخاء الاقتصادى فى الدوله الذى بدأ واضحا فى عهد الرشيد حتى قيل ان الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر الى السحابه الماره فيقول اذهبى حيث شئت ياتينى خراجك .(١)

ادى ذلك الى ان يهتم العباسيون بالعمران خصوصا فى العصر الاول فقد ذكر الخطيب البغدادى فى بناء بغداد ان ابا جعفر المنصور لما عزم على بناء بغداد احضر المهندسين واهل المعرفه بالبناء ، والعلم بالاذرع والمساحه حتى تكامل بحضرته من اهل المهن والصناعات الوف كثيرة ، ولقد بنى ابوابها واسواقها وقبته الخضراء وتفنن فيها .(٢)

ولم يكن العمران مقتصرا على دار الخلافه بل ان كثيرا من بلاد الاسلام ماثلتها فى ذلك ، فهذا ابن عساكر يحدثنا فى تاريخه عن دمشق فيقول " حين دخلها المامون ونظر يوما فى بناء مكان فيه اشجار الغوطه وبنائها ، فحلف بالله انها خير مغنى على وجه الارض فقال فى هذا بعض الشعراء ،

نظر المامون يوما ... من دمشق من مبانى

فى رياض موفقات ... بين اشجار حسان .(٣)

---

(١) العرب والحضارة . د . على الخربوطلى ص٢٣٦ط ١٩٦٦م / القاهرة

(٢) تاريخ بغداد الخطيب البغدادى جـ١ ص٧٠ ـ ٨٢

(٣) تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر هذبه الشيخ عبدالقادر بدران جـ١ ص ٢٥٢

ان امتلاء خزائن الدوله بالاموال ادى الى الرخاء الاقتصادى والذى ادى بدوره الى انخفاض الاسعار وبالتالى رفع مستوى المعيشه التى اثرت فى الحياه الاجتماعيه حيث جعلت الناس يعيشون فى بحبوبه من العيش انذاك " فقد كان الكبش يباع بدرهم والحمل باربع دوانق ـ والدانق سدس الدرهم ـ والتمر ستين رطلا بدرهم ولحم البقر تسعين رطلا بدرهم ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم (١) .

هذه الحاله من الرخاء الاقتصادى ورفع مستوى المعيشه وامتلاء خزائن الدوله كانتا تسير سيرا مستقرا فى العصر العباسى الاول ، ولكن الحال لم يبق على ماهى عليه فى عصر الخلافة الثانى حيث كثرت الفتن ـ كالزنج والقرامطه وغيرها ـ والتى انهكت خزينه الدوله واثقلت كاهلها .

والتاريخ يحدثنا " انه لما بويع للخليفه الراضى سنه ٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ ، احست الخلافه بالتدهور فى زمانه حيث فرغت خزائن الدوله ، فبدأت تتطلع الى حكام الامارات القريبه من العراق تستعين بهم على انقاذ الموقف الذى بلغ غايه فى التدهور ، ان الثورات والفتن جعلت العراق نفسه قاصرا عن القيام بموارد الدوله ، وهذا ما نجده واضحا فى ثورة الزنج حيث ظهر الفساد والعبث فى البلاد ، فانتهكت اعراض الحرائر من النساء ، وكثر القتل ولم ينج من مطامعهم حتى النساء والاطفال وقد كان استيلاؤهم على البصرة مثلا لما ارتكبوه من الفظائع (٢) .

---

(١) تاريخ بغداد الخطيب البغدادى جـ ١ صـ ٧٠ /بيروت

(٢) العالم الاسلامى احمد ابراهيم شريف صـ ٣٤٩

ويذكر ابن الجوزى وهو يؤرخ لسنه ٢٦٠ هـ حالة الغلاء وارتفاع الاسعار فيقول :

" سنة ٢٦٠ هـ ، وفيها اشتد فى عامه بلاد الشام فاجلى عن مكه من كان مجاورا (١) لها من شده الغلاء الى المدينة وغيرها من البلدان ، ورحل عنها العامل الذى كان بها وبلغ " كر الحفطه ببغداد خمسين ومائه دينار ودام ذلك شهورا (٢) .

كان العصر العباسى يوثق لدمج العناصر غير العربية بالعرب " وكان المبدأ الاجتماعى للدوله العباسيه كما يصوره شاعرهم

ولسنا نحابى على الرحمن من احد فيما نطالب من مولى ومن عرب

ويقصدون دمج المسلمين كافه من عرب وغير عرب فى مجتمع اسلامى واحد يتساوى افراده فى الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فالدعوة العباسية لاتمثل نوعا من الحركه القومية او الشعوبية ضد العرب ، ولكنها تمثل فى ابعد الاحوال اندحار الفكرة القائله بارتباط الاسلام بجنس مسيطر واحد هو العرب " (٣)

وهكذا نجد ان المجتمع تداخل فيه العرب والفرس والترك بما فيهم من يهود ونصارى وغيرهم فقد اعتمدت الدوله فى بداية تكوينها على الفرس ثم بدأت تتخلص منهم ، كما تخلص ابوجعفر المنصور من ابى مسلم الخراسانى والرشيد من البرامكه ونجاء المعتصم فقرب الترك ورفع شأنهم وقد ظهر الترك فى زمانه والذين ضاقت بهم بغداد فآذوا الناس وتعرضوا للنساء مما ادى الى

---

(١) يقصد الغلاء

(٢) المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ابن الجوزى جـ٥ صـ٢١ ط ١٣٥٧ هـ .

(٣) دوله العباس شاكر مصطفى جـ١ صـ٩ ط ١٩٧٣ م

نقل حاضره دولته الى سرمن راى (سامراء)

كما شكل اهل الذمه عنصرا هاما من عناصر المجتمع ، والواقع كانت معامله الخلفاء ورجال الدوله لهم تنم عن عدل وتسامح وكم وقد ساهم اهل الذمه في الحركه الفكريه من ترجمه ودراسه للطب وغيرها من العلوم حيث اشتهر منهم الاطباء (١).

ونتيجه لهذا الاندماج ، فقد انتقلت الى البلاد العادات الفارسية وعادات الاقوام الذين امتزجوا مع العرب . فعلى سبيل المثال "عيد الفيروز" كان عيدا للفرس قديما فاتخذه العباسيون عيدا قوميا يحتفلون به حفلهم بعيد الفطر ويتبادلون فيه الهدايا والقصائد ويجلس فيه الخلفاء للتهنئه وقل مثل ذلك في الازياء فانتشرت القلنسوه وضروب الازياء الفارسيه فاتخذ القضاة القلانس العظام ، واتخذ الخلفاء العمائم على القلانس العظام ، واتخذ الخلفاء العمائم على القلانس ، وتفننوا في العمامه ونوعوها تبعا للطبقات كما يفعل الفرس ، فللخلفاء عمه ، وللفقهاء عمه ، وللاعراب عمه وكل قوم زى (٢).

ولقد ظهر في هذا العصر شعراء ماجنون وصفوا الخمره وشربوها ، وظهر الغزل وعاش الكثير من الخلفاء عيشة بذخ وترف ، والى جانب هذا ظهر شعراء يدعون الى الزهد كما ظهرت حركات تدعو الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كظهور فرقه المتطوعه لتنكير على الفساق ببغداد ، وكذلك ظهرت حياة الزهد ، وظهرت الى جانب ذلك حركات

١ـ الحواضر الاسلاميه الكبرى د . عصام الدين عبد الرووف ص ١٩٧٩ ط١٩٧٦

٢ـ ضحى الاسلام د . احمد امين ص ١٠٦

الزندقه . وللحركات العلميه نصيب كبير في هذا العصر ، كالطب والترجمه والفلسفة والمنطق اضافة الى العلوم الشرعيه من فقه وحديث وتفسير .

وكما صورت حياة اللهو والمجون في كتاب الاغاني ودواوين الشعراء ، صورت كذلك حياة الايمان والتقوى في تراجم الرجال وكتب التاريخ كالبداية والنهاية والطبري في تاريخه وشذرات الذهب وغيرها من الكتب التي زخرت بذكر مجالس العلم وحلقات الدرس وتراجم العلماء .

وخلاصه القول

كانت الحياه الاجتماعية للعصر العباسي ذات صنوف والوان ، إنه عصر مشحون بالاحداث والعبر .

نكتفي بهذه النبذه المختصره والتي تطرقنا فيها الى حياة العصر العباسي السياسية والاجتماعيه .

الفصل الثـــــالـــــــث

****

تطور الاحتساب وكيفيـــــــتـــه فـــــي العصر العباسي

لم يكن الاحتساب وليد العصر العباسي بل كان موجودا منذ بداية الدعوة الاسلامية واستمر في تطوره حيث ظهرت لنا في العصر العباسي صورا للاحتساب نتطرق لها فـــــي هذا الفصل الذي يشتمل على مبحثين :

المبحث الاول

تطور الاحتساب حتـــــــى العصر العباســـي

ان الحياه اليوميه في المجتمع المسلم لاتكاد تخلو من صورة من صور الاحتساب فالدعـــــوة الى فعل الخير احتساب ان كان يراد بها الاجر من الله والنصح والوعظ والارشاد احتساب، والجهاد في سبيل الله احتساب وغير ذلك من الامور التي نراها في المجتمع المسلم .

ونحن في مبحثنا هذا ننظر الى الاحتساب من زاويه واحده وهي التي تقع ضمن ولايـــه الحسبه والتي هي الوظيفة التي يتولاها المحتسب المعين من قبل السلطان لاهميتهـــــا ولمساسها المباشر في البحث ثم انه من الصعوبه جمع واحصاء امور الاحتساب التطوعـــــي والتي لا يمكن حتى للكتب والمراجع ان تلم بها .

فبالنسبه للحسبه ، فهي كما يراها العلماء ان جذورها التطبيقيه كانت تعود الى عهـــد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم عن ابي هريره رضي الله عنه " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل يده فيها فنالت اصابعه بللا فقال ما هذا ياصاحب الطعام ؟ فقال اصابته السماء يارسول الله . قال " افلا جعلته فوق الطعام

كي يراء الناس من غش فليس منى "(١)

وروى البخارى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه انهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم من يمنعهم ان يبيعوه حتى يؤدوه الى رحالهم "(٢)

وهكذا نجد ان الرسول عليه الصلاه والسلام كان يتولى الحسبه بنفسه ، كما انه صلى الله عليه وسلم ولى بعض اصحابه على الاسواق " فقد ولى سعيد بن العاص سوق مكه بعد الفتح كما انه ولى عمر بن الخطاب الاشراف على سوق المدينة "(٣)

ثم جرى الخلفاء رضى الله عنهم على سنه نبيهم صلى الله عليه وسلم فكانوا يقومون بالحسبه بانفسهم ، فترى الخليفه يشارف الاسواق ويراقب الموازين والتجار، ويستعمل الولاه ليقوموا بالحسبه من قبله .

فهذا الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمر على رجل حمل جمله حملا ثقيلا فيضربه بالدره ويقول له " حملت جملك مالا يطيق "(٤)

وحينما يرى اللحوم لاتكفى جميع الناس فى المدينه لقلتها ، تراه يضرب من ياكل اللحم يومين متتاليين .

فعن ابن عمر رضى الله عنه قال " كان عمر ياتى مجزره الزبير بن العوام رحمه الله

---

(١) رواه مسلم / كتاب الايمان باب قول النبى صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) جـ١ صـ٦٩/ دار الافاق الجديده (بيروت)

(٢) رواه البخارى/ كتاب البيوع باب النهى عن تلقى الركبان جـ٣صـ٩٥ الهيئة العامه للكتاب ـ القاهرة ـ بيروت .

(٣) السيرة الحلبيه فى سيرة الامين والمامون على برهان الدين الحلبى جـ٣صـ٤٢٤ دار المعرفه بيروت .

بالبقيع ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها فياتي معه بالدرة فاذا راى رجلا اشترى لحما يوميين متتابعين ضربه بالدره وقال " الا طويت بطنك يوميين "(١)

وقد كثرت الروايات عن عمر رضى الله عنه من انه كان يحمل درته ويتجول في الاسواق يراقبها ويضرب من يخالف النظام العام

وكما كان عمر رضى الله عنه يقوم بالحسبه بنفسه ، كان كذلك يوكل غيره للقيام بها . فقد ولى كلا من عبدالله بن عقبه وابن السائب بن يزيد النظر فيما يجرى في الاسواق والتفتيش على المكاييل والموازين ومنع الغش فيما يباع ويشترى .

يقول بن سالم " عن ابن السائب بن يزيد قال " كنت عاملا على سوق المدينه في زمن عمر "(٢)(٣) والخليفه الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه اولى عنايه خاصه بالاشراف على الاسواق ، فقد ذكر البلاذرى ان من ولاه على السوق " الحارث بن الحكم "(٤)

وكذا الخليفة على رضى الله عنه كان يقوم بالحسبه بنفسه فقد اورد ابن سعد في طبقاته انه كان يخرج - اى على رضى الله عنه - من القصر وعليه قطريتان ازاره الى نصف الساق ورداء فشمر قريب منه ومعه دره له يمشى بها في الاسواق وامرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول اوفوا الكيل الميزان ويقول " لاتنقصوا اللحم "(٥)

وكان رضى الله عنه يمشى في الاسواق وحده وهو خليفه يسترشد الضال ويعين الضعيف

---

(١) المصدر السابق ص ٧٩

(٢) لفظه عامل على السوق تاتى بمعنى المحتسب . كما سنرى ان شاء الله .

(٣) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الاموى د . عبدالله محمد السيف ص١٢٦ ط ١٤٠٣هـ .

(٤) انساب الاشراف البلاذرى جـ٤ ص٥٣٧ تحقيق د . احسان عباس ط ١٩٧٩م .

(٥) كتاب فضائل الصحابه احمد بن حنبل تحقيق وصى الله بن محمد عباس جـ٢ص٥٥٧ ط ١٤٠٣هـ .

ويمر بالباع والبقال فيفتح عليه القراب ويقرأ " تلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا "(١)

ومر يوما بالحسن البصري وهو يعظ الناس فأختبره قائلا له " ماعماد الدين ؟ فقال الحسن الورع ، قال فما أفته ؟ قال الطمع ، قال تكلم الان ان شئت "(٢)

وهكذا نجد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم قاموا بالحسبه بانفسهم او عينوا لها من يقوم بها فيتفرغوا الى اعمالهم الاخرى ، فكان هؤلاء العمال يشرفون على الاسواق وينظمونها ويراقبون الاداب العامه ، ويراقبون تطبيق قواعد الشرع الحنيف .

ثم اذا انتقلنا الى العصر الاموى ، فقد استمر ولاه الاقاليم والامصار بمباشرة الحسبه بانفسهم اقتداءا بائمه الصدر الاول رضوان الله عليهم فيذكر الطبرى " ان الوليد بن عبدالملك ٨٦ ــ ٩٦ هـ كان يمر بالاسواق يسأم ويناقش الاسعار مع البقالين وغيرهم "(٣)

وبالاضافة الى ذلك فقد كانت الاسواق في العصر الاموى تخضع لاشراف موظف يدعى العامل على السوق " يتمتع ببعض الصلاحيات القضائية والتنفيذية والادارية ويعين معه بعض الافراد الذين يساعدونه على القيام بعمله لمراقبة المكاييل والموازين وحل الخلافات التى تنشا بين الباعه في السوق .

وحينما جاء عمر بن عبدالعزيز رحمه الله للخلافة راى ان يوحد المكاييل والموازين لانها

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٨ صـ٥ / والاية من سوره القصص رقم ٨٣

(٢) الاحكام السلطانيه الماوردى صـ٢٤٨

(٣) تاريخ الامم والملوك الطبرى جـ٥ صـ٢٦٥ ــ ٢٦٦

كانت مختلفه في اقاليم الدوله الاسلامية ، فيقول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله " ثم ان المكيال والميزان نرى فيهما امورا علم من يأتيها انها ظلم ، انه ليس في المكيال زيغ الا من تطفيف ، ولا في الميزان فضل الا من غش ، فنرى تمام مكيال الارض وميزانها ان يكون واحدا في جميع الارض كلها "(١)

ولقد ذكر الازرقي " ان سعيدا بن ميناء كان عاملا على السوق في مكه لعبد الله بن الزبير "(٢)

اما في المدينة فكان العامل على السوق في ولاية عمر بن عبدالعزيز هو سليمان بن يسار(٣) وفي زمن عمر بن هبيره والي واسط ١٠٣ ــ ١٠٦ هـ ، تولى كل من مهدي بن عبدالرحمن واياس بن معاوية السوق (٤) .

وقد ذكر الاصفهاني ان " بردان " كان عاملا على سوق المدينة في العصر الاموي ولكن لم يذكر زمن تعينه . ويبدو ان عامل السوق كانت له اختصاصات قضائية خاصه في المعاملات او الخلافات التي تنشا بين الباعه في السوق . فيذكر الاصفهاني " ان " بردان " هذا " قدم اليه رجل خصما يدعي عليه حقا فوجب الحكم عليه فامر الى الحبس" كما يبدو ان من مهام عامل السوق مراقبة اصحاب الحرف والصناعات كي لا يهربوا باموال الناس او حاجاتهم وفي المدينة المنوره كان صاحب السوق يجلس في فناء دار معمر بن عبدالله العدوي في

---

(١) الحالة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الاموي د . عبدالله محمد سيف ص١٢٦

(٢) اخبار مكه الازرقي جـ١ ص١٤٩ ط الثالثه لسنه ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مكه المكرمه

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٥ ص١٣٠

(٤) اخبار القضاه لوكيع جـ١ ص٣٥٢ ــ ٣٥٣ / عالم الكتب (بيروت)

سوق المدينة ، وكان العامل على السوق يعين من قبل الوالي ويعتبر احد موظفي الدوله الذين يتقاضون مرتبا من بيت المال (١) .

وقد اتخذ المحتسب نتيجه لتوسع اختصاصاته اعوانا له يعينونه في تنفيذ مهمته للمحافظه على النظام العام والاداب العامه ، فيذكر الطبري في بعض سيرة هشام بن عبدالملك ١٠٥ ــ ١٢٥ هـ . " ان داود وعيسى ابني علي بن عبدالله بن عباس . وهما لام كان من اعوان السوق بالعراق لخالد بن عبدالله (٢) .

وهكذا نجد الحسبه كوظيفة اخذت تستقر ، وتكون لها نظاما له قواعده ، واخذ مفهومها يتسع ليشمل اختصاصات كثيرة ، كما ادى ذلك الى اتخاذ المحتسب اعوانا له ، ضمن جهاز منسق ومنظم ، وهذه مسأله طبيعيه تعود الى اتساع رقعه العالم الاسلامي والى دخول عناصر جديدة في الاسلام كما تعود الى انتشار الاسواق والصناعات وظهور مهن وحرف كثيرة لم تكن موجوده سابقا . اضف الى ذلك ظهور التخصصات حتى في الصناعه الواحده ، الامر الذي جعل جهاز الحسبه يتسع لهذا التطور .

ومما تجدر الاشاره الى ان لفظ العامل على السوق او " صاحب السوق " هو اللقب الذي كان يطلق على من يتولى الاشراف على السوق ومراقبه المكاييل والموازين طيله عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ابتداءا من هجرته الى المدينة وكذلك طوال فترة حكم الخلفاء الراشدين وفي العصر الاموي المتأخر بدأ ظهور لفظ المحتسب " وقد شاع استعمال هذا اللفظ مع بداية العصر العباسي " (٣) .

---

(١) الحالة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر العباسي د . عبدالله محمد سيف ص ١٢٧

(٢) تاريخ الامم والملوك للطبري جـ٧ ص٢٠٣ نقله عنه المحتسب في كتاب الحسبه في العراق حتى عصر المامون ص ٤٦

المبحث الثاني

كيفيه الاحتساب في العصر العباسي

تطرق العلماء في كتبهم الى الطرق وكيفيه الاحتساب في العصر العباسي ، فذكروا الاحتساب على المهن والصناعات بما في ذلك البزازين والخبازين والقصابين وغيرهم وكذلك الحسبه على ذي الجاه والسلطان ، واهل الذمه والصياد له والاطباء الى غير ذلك من الامور التي يحتسب فيها متولي الحسبه ، والتي اوصلها البعض الى ثلثمائه وستين نوعا .

وفي بحثنا هذا سنقتصر على بعض الانواع للدلاله على وجود الاحتساب وكيفية في هذا العصر .

اولا (الاحتساب على ذي الجاه والسلطان .)

خلق الله الانسان ليكون خليفةً في ارضه ، ووضع له الهدف الذي من اجله اوجده والغايه التي من اجلها يعيش الا وهي عباده الله تعالى . قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوه المتين)(١)

واذا كان عماره الارض لاتتحقق الا باتباع منهج الله عز وجل ، فقد اوجب ضمن شرعه تبارك وتعالى الذي انزله على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم طاعه اولي الامر ما داموا يحكمون شرع الله في الرعيه قال تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)(٢)

---

(١) الذاريات ايه : ٥٧ ـ ٥٨

(٢) النساء ايه : ٥٩

وللحفاظ على العداله فى المجتمع المسلم وعلى المشروعيه من انحراف اولى الامر والتمادى فى امور تخالف الشرع الحنيف او لدفع الحكام الى امور يحث عليها الاسلام من خير ومعروف غفل عنها الحكام ، جعل الاسلام الاحتساب على ذى الجاه والسلطان حيث يكون لفرد رقيبا على السلطه محاسبا لها اذا ما خرجت عن الحق ، ومعينا لها على تطبيقه ، مهما كان من بيده السلطه خليفه او اميرا او حاكما او موظفا كبيرا من رجالات الدوله . لان هذه الوظائف هى مسؤوليه وتكليف من الامه لمن تسلمها ، لذا فلا فرق بين الحاكم والمحكوم فى اتباع الحق .

وعندما كان المسلمون يشعرون باهميه الاحتساب ، لانجد غرابه ان نسمع امرأة تحاج الخليفه الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه آمره له بالمعروف مخطئة لرأيه فما كان منه رضى الله عنه الا ان رجع عن رايه بعد ان عرف الحق والدليل (١) .

فما اروع الحاكم وما اروع الرعيه وما اروع العقيده التى انشأت الراعى والرعيه .

فلا خوف فى امر بمعروف او نهى عن منكر ، لان الحياة فى نظر المومن بيد الله تبارك وتعالى فالاجل مكتوب والرزق مكتوب قال تعالى (اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعه ولا يستقدمون) (٢) وقال تعلى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم) (٣) والفعل بالماضى ، فلماذا يخاف المومن فى امره ونهيه .

والشريعه الاسلاميه طرقت ، وضمن مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كل الابواب فلم

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد على الصابونى جـ١ صـ ٣٦٩ /ط١٣٩٣هـ

(٢) الايه فى سورة يونس: ٤٩

(٣) الايه فى سورة الروم : ٤٠

فلم تكتف بتطبيق مبادئها على العامه دون الخاصة او على المحكومين دون الحكام ولهذا نجد الامن والسعاده والاستقرار حين يطبق منهج الله تطبيقا كاملا وبالعكس حينما ضعف الدين في قلوب ابنائه وتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تفشـــى الظلم واصبح **الانسان** لا يأمن على نفسه واهله وماله .

وعلمائنا رحمهم الله كما اسلفت ذكروا الاحتساب على ذي الجاه والسلطان وابرزوه وبينوا كيفيه وجعلوه من مهام المحتسب ، فهذا الامام الماوردي رحمه الله وابن الاخوه القرشي يرون " ان المحتسب عليه ان يقصد مجالس الامراء والولاة ويامرهم بالشفقه على **الرعيـــه** والاحسان اليهم ويذكر لهم ما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم "(١)

والعصر العباسي ، مرحله من المراحل التاريخيه التي مرت بها الامه الاسلاميه ، نجد **ان** الاحتساب على **الولاه** فيه موجود ، صحيح كان ضعيفا في بعض فترات العصـــر الا ان هذا الضعف نتيجه طبيعيه لضعف الدين في قلوب الناس اذا ما قورن بالعصور التي سبقته .

ونحن اذ نذكر هنا صورا للاحتساب على هذه الطبقه فانما نذكره للتمثيل لا الحصر مبين كيف كان الاحتساب ، وكيف كان اسلوب المحتسبين مع هذه الطبقه من المجتمع .

كما راينا ان للمحتسب ان يعظ هذه الطبقه ويتردد عليها مبينا لها شرع الله ومذكرا لها بالاخره وبتقوى الله . كذلك عليه ان يكون في اسلوبه " لطيفا ظريفا لين القول بغيـــر

---

(١) الرتبه في طلب الحسبه للماوردي (خطوط ورقه ــ ١٢٥ ــ / معالم القربه لابن الاخوه القرشي ص٢١٦

غير جبار ولا عبوس" (١)

فهذا ابن الرفعه ياتى بمثال ليدل على الاسلوب الذى يجب اتباعه مع الولاه من لطف ولين وبشاشه يقول " وحكى انّ رجلا دخل على المامون فامره بمعروف ونهاه عن منكر واغظ له فى القول فقال له المامون ، ياهذا ، ان الله ارسل من هو خير منك الى من هو شر منى فقال لموسى وهارون " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى " ثم انصرف عنه ولم يلتفت اليه ، ولان الرجل قد ينال بالرفق ما لا ينال بالتعنيف" (٢)

واذا كان هذا هو الاصل فى اتباع اللطف فى الوعظ والبشاشه مع الولاه ، فاننا نجد فى هذا العصر اسلوب الشده فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اضافه الى اسلوب اللين والبشاشه ، وهذا كما يبدو لنا يتبع لشخصيه المحتسب قوه وضعفا ، والامر المراد الاحتساب عليه ، وانه لا يودى الى مفسده اكبر وفتنه اعظم .

ونرى فى هذا العصر وفى خاصه الاول منه موقف العلما رحمهم الله والذين سجلوا صورا رائعه ومواقف جليله وذكريات عطره ، فى الاحتساب على ذى الجاه والسلطان فلم يخشوا فى الله لومه لائم ولم يحسبوا حسابا لبطش ظالم ، اوعذاب متجبر ، متقتدين بمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم فى استمساكه بالحق والدعوه اليه وتحمل الاذى والعذاب من اجل تطبيق شرع الله .

---

(١) معالم القربه لابن الاخوه القرشى تحقيق محمد محمود شعبان ص٢١٨/الماوردى الرتبه فى طلب الحسبه (مخطوط) ص١٢٧

(٢) الرتبه فى الحسبه لابن الرفعه (مخطوط) ص٧ /والايه فى سوره طه ايه رقم ٤٤

يقول الامام الغزالى رحمه الله " ولما علم المتصلبون فى الدين ان افضل الكلام كلمه حق عند سلطان جائر ، وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت الاخبار قدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين انواع العذاب صابرين عليه فى ذات الله محتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله "(١)

وهكذا لما علم المسلمون ان رد الحاكم الجائر والنصح له جهاد تعبدوا له ضمن تلبيتهم لمنهج الله تعالى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، احتسابا للاجر من الله .

ويقول ابن الجوزى " الجائز فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ فاما تخشين القول نحو يا ظالم ، يامن لا يخاف الله ، فان كان ذلك يحرك فتنه يتعدى شرها الى الغير لم يجز ، وان لم يخف الا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء "(٢)

ان الاحتساب على الحاكم بالانكار على اعماله المخالفه للشرع ، او اقواله المتناقضه مع الاسلام وامره بالمعروف امر لابد منه لارجاع الحاكم الى صوابه وتقويم اعوجاجه واعانته على تطبيق الحق .

وكتب التاريخ تحدثنا عن صور رائعه للاحتساب على ذى الجاه والسلطان فى العصر العباسى فهذا هو الامام محمد بن عبدالرحمن بن ابى ذئب ، قال احمد : دخل

---

(١) احياء علوم الدين الغزالى جـ٧ صـ٢٩٢

(٢) الاداب الشرعيه شمس الدين محمد بن مفلح المقدسى صـ١٩٧ جـ١ ط ١٩٧٧م

ابن ابى ذئب على ابى جعفر المنصور فلم يمهله ان قال له الظلم بابك فاش وابو جعفر ابو جعفر .

وحياه يوما المنصور فلم يقم له فقيل له لاتقم لامير المومنين ، قال انما يقوم الناس لرب العالمين (١)

ودخل ابن ابى ذئب ومالك وابن سمعان على ابى جعفر المنصور وبعد ان تكلم مع مالك وابن سمعان التفت الى ابن ابى ذئب فقال له ناشدتك الله ان الرجال انا عندك ؟ قال انت والله عندى شر الرجال ، استاثرت بمال الله ورسوله وبهم ذوى القربى واليتامى والمساكين واهلكت الضعيف ، واتعبت القوى ، وامسكت اموالهم ، فما حجتك غدا بين يدى الله؟ فقال له ابو جعفر ويحك : ما تقول ؟ اتعقل ؟ انظر ما امامك . قال نعم فقد رايت اسيافا ، وانما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله ثم خرج (٢)

ولما كان ابو جعفر بمنى فى العام الذى حج فيه سفيان الثورى وسليمان الخواص ، قال احداهما لصاحبه الا ندخل على هذا الطاغى الذى كان يزاحمنا بالامس فى مجالس العلم فنكلمه ونامره بحسن وننهاه عن الباطل ، فلعل كلامنا يقع منه موقعا ينفع الله بن المسلمين ويأجرنا عليه ، فقال سليمان الخواص انى لاخشى ان ياتى علينا منه يوم سوء ، فقال الثورى

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى جـ١ صـ٢٤٦

(٢) الامامه والسياسة ابن قتيبه الدينورى جـ٢صـ١٤٥ تحقيق د . طه الزينى دار المعرفه . بيروت

ما اخاف ذلك ، فان شئت فادخل وان شئت دخلت ، فدخل سليمان الخواص ، فامره ونهاه وذكره بالله ، ثم خرج فدخل سفيان فتكلم دون ان يستأذنه فوعظه وامر ونهى وذكر(١)

واستمرار عادات السلف الصالح في الاحتساب على الولاه يدل على ثبوتها ، فقد روى عن المهدي انه لما قدم مكه لبث بها ما شاء الله ، فلما اخذ في الطواف ، نحى الناس عن البيت ، فوثب عبدالله بن مرزوق فلببه بردائه ، ثم حزه ، وقال له : انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال تعالى (سواء العاكف فيه والباد)(٢) .... من جعل هذا لك ؟ فنظر في وجهه ، وكان يعرفه ، لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق ؟ قال نعم ، فاخذ فحبي به الى بغداد ، فكره ان يعاقبه عقوبه يشنع بها عليه في العامه ، فجعله في اعطبل الدواب ليسوس الدواب وامروا اليه فرسا عضوضا يرمي الخلق ليعقره الفرس فليس له الفرس(٣)

وما روى عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ولم يكن مامورا من عنده بذلك ، فامر بان يدخل عليه ، فلما صار بين يديه قال له " انه بلغني انك رايت نفسك اهلا للمعروف والنهي عن المنكر من غير ان نامرك . وكان المامون جالسا على كرسي ينظر كتاب او قصه فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لا يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال ماذا تقول ؟

---

(١) المصدر السابق صـ١٤٣ (٢) سورة الحج ايه : ٢٥

(٣) الحسبه في الاسلام ابراهيم دسوقي الشهاوي صـ٤٨ ط١٩٦٢

حتى اعاده ثلاثا ، فلم يفهم ، فقال " اما رفعت اواذنت لى حتى ارفع " فنظر المامون تحت قدمه ، فراى الكتاب ، فاخذه وقبله وخجل "(١)

وهذا الامام مالك امام اهل المدينه يرسل كتابا الى هارون الرشيد والى يحيى البرمكى الوزير يأمرهم بالمعروف والابتعاد عما حرم الله ورسوله يقول فيها " ولاتركب الميثره الحمراء ، ولاتلبس المعصفر ، فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذلك ٠ ٠٠٠ ولاتنم على الحرير والديباج فانه لبسه النساء ، بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير والديباج الا للنساء ٠٠ ولاتخلون بامرأه ليست لك بمحرم بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ماخلا رجل بامرأه ليست له بمحرم الا كان الشيطان ثالثهما ٠٠٠ ولاتشفع فى حد من حدود الله اذا انتهى الى الامام ولا بأس ان تشفع قبل ذلك "(٢) والى غير ذلك من امره للخليفه بالمعروف ٠

" وحكى عن ابى بكر الشبلى ، انه راى سفينه مشحونه بخوابى خمر حملت من مصر للخليفه فالقى نفسه فيها فجعل ياخذها واحده واحده ويهريقها كلها ، والقوم سكوت من هيبته حتى بقيت واحده فاخذها فلم يهريقها وتركها فاتى به الى الخليفه وهو المعتصم بالله ـ فقال له ، لم فعلت هذا ؟ قال ايد الله الخليفه لوعلمت ان فى بطنها خمرا لشققته بهذه الحربه فقال له المعتصم ، انا اعلم ماقصدك من هذا ، قصدك ان اقتلك حتى تصير شهيدا ،

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) رساله امام اهل المدينه ابى عبدالله مالك بن أنس الى امير المومنين هارون الرشيد ويحيى البرمكى ط/١٣٢٦ هـ

فلا افعل ما تعمدت ثم تالى له ، لم تركت الخابيه الواحده فقال : حين كسرتها امريتهـــا لم اكن ارى نفسى ثم تبق الا واحده رايت نفسى عندما فتركتها ولم امرتها لمراد بنفسى "(١)

وهكذا نجد ان هذه الصوره واضحه فى هذا العصر ، نكتفى بهذا الذى ذكرناه خـــوفا من الاطاله وان كتب التاريخ مليئه بهذه الصور فى الاحتساب على ذوى الجاه والسلطان .

ثانيـــا : (الاحتساب على اهل الذمه فى العصر العباســـى)

لم تهضم الدوله الاسلاميه حقوق اهل الذمه ، بل اعطتهم حقوقهم وحمتهم باعتبارهم من رعايا الدوله الاسلاميه " فمن الثابت تاريخيا ان الفاتحين المسلمين لم يتعرضوا لاهـــل الذمه عموما بشئ من القيود على حرياتهم ، وحين دخل عمرو بن العاص " مصر كان المصريون الاقباط يعانون الكثير من جراء اضطهاد البيزنطيين بسبب الخلافات المذهبيه بين الطرفيـــن رغم ان المسيحيه كانت الديانه التى اعتنقها البيزنطيون والمصريون جميعا ، وقد ساعد بعـــض الاقباط الجيش الاسلامى بقياده عمرو بن العاص ، اثناء تقدمه لقتال الروم بالاسكندرية واتام القبط الجسور والاسواق للفاتحين "(٢)

والتاريخ الاسلامى يحدثنا عن قصه امير المومنين عمر رضى الله عنه مع الذمى الذى رآه يسأل على ابواب الناس ، وكان هذا الذمى شيخ كبير ، فتالم عمر رضى الله عنه وقال " ماانصفناك

---

(١) نصاب الاحتساب عمر بن عوف السنامى ص١٨٩ تحقيق د . مؤنل يوسف دار العلوم / ط١٩٨٣ وقد ذكر السنامى قبل هذه القصه قوله " وللصوفيه فى الاحتساب شرط اخر وهو لا يرى نفسه فى الاحتساب فان راها فيه تركه "

وللفائده : فان كتاب نصاب الاحتساب حقق كذلك من قبل احد طلاب جامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه / المعهد العالى للقضاء حائز فيها الطالب محمد رجاء احمد على درجه الدكتوراه وتحقيقه جيد للكتاب ، وهو موجود فى المكتبه المركزيه بجامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه

(٢) اهل الذمه فى عصر العصور الوسطى د . قاسم عبده قاسم ص٣١ ط١٩٧٩ دار المعارف .

ان كنا اخذنا منك الجزيه فى شيبتك ثم ضيعناك فى كبرك ! ثم اجرى عليه من بيت المال ما يصلحه (١)

والدوله الاسلاميه اذ اعطتهم هذه الحقوق فقد وضعت لهم قواعد ، لابد ان يلتزموا بها فى ظل هذه الدوله . ومولفوا الحسبه ذكروا فى كتبهم الاحتساب على اهل الذمه ، وهناك قواعد على المحتسب ان يتبعها فى معامله اهل الذمه ، وهذه الاحكام والقواعد لاتهدر من حقوق اهل الذمه كما انها واجبه للحفاظ على الشخصيه الاسلاميـــه للدوله . وقد تطرق كتاب الحسبه للباس اهل الذمه فى دوله الاسلام وركوبهم وبنـــاء كنائسهم او صوامعهم وغيرها من الامور .

وفى ذلك يقول القاضى ابويعلى الجنبلى فى " الاحكام السلطانيه " " ويمنع اهل الذمه من تعليه ابنيتهم على ابنيه المسلمين ، فان ملكوا ابنيه عاليه احتمل ان يقروا عليها ويلزمـــوا ان يستروا سطوحهم " (٢) وذلك حفاظا على اعراض المسلمين .

ويستطرد قائلا " ويأخذ اهل الذمه بما شرط فى ذمتهم من لبس الغيار ، والمخالفـــه فى الهيئه ، وترك المجاهره بقولهم فى عزيز ابن الله والمسيح ابن الله " (٣)

وقد جاء فى معالم القربه " لابن الاخوه القرشى قوله

" اعلم ان التساهل مع اهل الذمه فى امور الدين خطر ، وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه

---

(١) احكام اهل الذمه لابن القيم / تحقيق د . صبحى الصالح جـ١ صـ٨ دار العلم للملايين .
(٢) الاحكام السلطانيه ابو يعلى الحنبلى صـ٣٠٤ دار الفكر
(٣) نفس المصدر السابق صـ ٣٠٤

العزيز (يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم)[١] .

ثم ذكر انه لما ولى ابو موسى الاشعرى البصرة وقدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده فى المسجد فاستاذن عليه ، فاذن له واستاذن لكاتبه ، وكان نصرانيا فلما دخل على عمر وراه فقال قاتلك الله يا اباموسى وليت نصرانيا على بيت المال اما سمعت قول الله تعالى (يا ايها الذين امنو لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم)[٢]

ثم ذكر بعض الحوادث عن السلف الصالح فى موقفهم من اهل الذمة قال ابن الاخوة "فحينئذ يجب على المحتسب النظر فى اهل الذمة وان يلزمهم بما هو مشروط عليهم ، وبما التزموا به على انفسهم من قديم الزمان ولا يرخص لهم فى ترك شى منه قولا ولا فعلا ، ويلزمهم بما كتبه لامير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه "[٣].

وقد كره عمر بن عبد العزيز ان تكون يد الذمى هى العليا فيكون له السلطان على المسلمين اذ كتب الى الولاه " بان لاتولين امور المسلمين احدا من اهل الذمه ، ولاتعوزوا لمسلمين لكيدهم والاتسلطانه عليهم "[٤].

وفى عصرنا العباسى نجد ان الاحتساب على اهل الذمه اخذ طريقة فهذا القاضى ابو يوسف

---

(١) الممتحنه ايه : ١

(٢) المائده ايه : ٥١

(٣) معالم القربه لابن الاخوه القرشى صـ ٩٤

(٤) اهل الذمه فى الاسلام د ٠ آ ٠س ٠ ترتون ترجمه د ٠ حسن الباشا / دار المعارف ط١٩٦٧

رحمه الله ، قاضي القضاه في دوله هارون الرشيد يذكر في كتابه الخراج والذي ارسله الى الخليفه ـ قوله " ولا يترك احد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا مركبه ولا في هيئته ، ويؤخذوا بان يجعلوا في اوساطهم الزنارات ـ مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم ـ وبان لا تكون قلانسهم مضربه ، وان يجعلوا شراك نعالهم مثنيه .. وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل ويمنعوا من ان يحدثوا بناء بيعه او كنيسه في المدينه الا ما كانوا صولحوا عليه وصاروا ذمه وهي بيعه لهم اوكنيسه ، فما كان كذلك تركت لهم ولم تهدم .... ويتركون ليسكنون في امصار المسلمين واسواقهم، يبيعون ويشترون ولا يبيعون خمرا ولا خنزيرا ولا يظهرون الصلبان في الامصار ، ولتكن قلانسهم طوالا مضربه ويخاطب هارون الرشيد بقوله " فمر عمالك ان ياخذوا اهل الذمه بهذا الزي ، هكذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر عماله ان ياخذوا اهل الذمه بهذا الزي ، وقال حتى يعرف زيهم من زي المسلمين "(١)

ثم يقول ابو يوسف من ضمن ماذكره " حدثني بعض اهل العلم عن مكحول الشامي ان ابا عبيده بن الجراح صالحهم بالشام واشترط عليهم حين دخلها على ان تترك كنائسهم وبيعهم على ان لا يحدثوا بناء بيعه ولا كنيسه ، وعلى ان عليهم ارشاد الضال وبناء القناطر على الانهار من اموالهم ، وان يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثه ايام ، وعلى ان لا يشتموا مسلما

---

(١) الخراج لابي يوسف ص١٢٧

ولا يضربوه ، ولا يرفعوا فى نادى اهل الاسلام صليبا "(١)

اضافه الى كتاب " الخراج " هذا والذى فصل فى التعامل معهم ، فقد وقعنا علـــى بعض النصوص التى وردت فى كتب التاريخ تثبت الاحتساب عليهم منها :

ماذكره صاحب كتاب " شذرات الذهب " بقوله وهو يورخ لسنه خمس وثلاثين ومائتين :

" فيها امر المتوكل باخذ اهل الذمه بلبس الطيالس العسليه والزنانير وترك ركوب السروج ونهى ان يستعان بهم فى الدواوين وان يتعلم اولادهم فى كتاتيب المسلمين ولا يعلمهم مسلم "(٢)

وكذلك ذكر " ابن العماد الحنبلى " ان المتوكل امرهم " ان يقتصروا على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين "(٣)

وذكر وهو يورخ لسنه احدى وتسعين ومائه قال " فيها امر الرشيد بتغيير هيئه الذمه "(٤)

وقال ابو هلال العسكرى " ان اول من امر بتغيير اهل الذمه زيهم المتوكل "(٥)

كل ذلك كان فى الاطار التى رسمته الشريعه الاسلاميه من حمايه اهل الذمه والعنايه بهم واختم هذا بوصيه الامام ابو يوسف الى هارون الرشيد بوصيه برعايه اهل الذمه بقوله " وقد ينبغـــى ياامير المومنين ايدك الله ان تتقدم فى الرفق باهل الذمه نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم والتفقد لهم حتى لايظلموا ولا يوذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يوخذ شى من اموالهم الا بحق يجب عليهم "(٦)

---

(١) المصدر السابق ص١٣٨

(٢) شذرات الذهب ابن العماد الحنبلى جـ٢ ص٨٢

(٣) نفس المرجع السابق جـ٢ ص٩١

(٤) المرجع السابق جـ١ ص ٣٢٨

(٥) الاوائل لابى هلال العسكرى ص٣٧٥ تحقيق وليد قصاب/وانظر الطبرى تاريخ الامم والملوك ، جـ١١ ص ٣٦ ــ ٣٧

(٦) الخراج لابى يوسف ص ٨٨

ثالثـــا : (الاحتساب على الاسواق فـــى العصر العباسى)

لقد شملت التنظيمات فى الدوله العباسيه الكثير من القطاعات الاقتصادية والاجتماعيه ومن ضمن ما شملت الاسواق ، بما فيها من طرق وصناعات وحرف ، وتبادل سلع ورقابـــه اداريه او صحيه ، وكل ما يتعلق بشئونها .

وتنظيم الاسواق وتنسيقها والاهتمام بها يوضح الدرجه التى وصلت اليها الحياه الاقتصاديه فى دوله ما . فوجود السلع وتوفرها وتبادلها وانتعاشها دليل على استقرار المستوى المعاش وعدم اضطرابه . والحق ان الدوله الاسلاميه منذ القدم اهتمت بالاسواق واولت العنايه فيهـــا ولا ادل على ذلك ما تكفله القران الكريم من ضروره ضبط الموازين والمكاييل وعدم الغش فى الكيل والوزن ، وذلك مراعاه للمصلحه العامه ، قال تعالى (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا علـــى الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ، الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم)(١) . وقال تعالى حاثا على الوفاء فى الكيل (واوفوا الكيل اذا كلتم)(٢) . كما وردت احاديث نبويه كثيرة تحث على الاوفاء فى الوزن وتنهى عن الغش وتدعو الانسان ان يكون سهلا فى البيـــع والشراء والى غير ذلك من المعاملات .

وتطبيقا لما جاء به الشرع الحنيف فقد كان صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وبعدهـــم خلفاء الدوله الاموية يباشرون مراقبه الاسواق بانفسهم لاهميتها كما رأينا سابقا .(٣)

---

(١) المطففين ايه : ١ ــ ٥

(٢) الاسراء ايه : ٣٥

(٣) انظر ص ٣٨ ، ٣٩

واستمر العمران والاهتمام بالاسواق فجاءت الدوله العباسية فلم تأل جهدا فـي تنظيم الاسواق والعناية لها .

فهذا الخطيب البغدادى يحدثنا عن بناء بغداد واسواقها قائلا " ودعا المنصور بثوب واسع فحد فيه الاسواق ، ورتب لكل صنف فيها موضعه ، وقال اجعلوا سوق القصابين فى اخر الاسواق ، فانهم سفهاء ، وفى ايديهم الحديد القاطع ، ثم أمر ان يبنى لاهـل الاسواق مسجدا ، يجتمعون فيه يوم الجمعه لا يدخلون الى المدينة ويفرد لهم ذلك "(١)

كما امر المنصور ـ ببناء الاسواق على يد الربيع ، واوسع الطرق بمدينه السلام وجعلهـا اربعين ذراعا ، وامر بهدم ما شخص من الدور عن ذلك المقدار "(٢)

ويذكر ابن العماد الحنبلى انه فى سنه سبع وخمسين ومائه ... بنى المنصور قصـره الذى على شاطئ دجله ويدعى الخلد ، وحول الاسواق الى باب الكرخ ووسع طرق المدينـه وارباضها "(٣)

كما ان الاهتمام والتنظيم لم يشمل اسواق عاصمه الخلافه بل شمل كثيرا من المدن الاسلاميه فقد نظمت اسواق " القيروان " وافرد لكل صناعه مكان خاص فى سنه ٢٥٥ هـ باعتناء مـن يزيد بن حاتم المهلبى والى افريقيا من قبل ابى جعفر المنصور "(٤)

وكانت الدكاكين فى اسواق مصر وغرب اسيه . تمتد على طول الشارع من الجانبين علـى

---

(١) تاريخ بغداد . الخطيب البغدادى جـ١ ص ٨٠

(٢) المصدر السابق جـ١ ص ٨٠

(٣) شذرات الذهب ابن العماد الحنبلى جـ١ ص ٢٤٠

(٤) احكام السوق يحيى بن عمر ص ٢٢

وكانت اسواق حماه ايام زارها الرحاله بن جبير حسنه التنظيم ، بديعة الترتيب والتقسيم ، اما في المدن الايرانيه فكانت الاسواق الجزء التجاري والمنفصل عن المدينه الرسميه وعن القلعه ، ولذلك جمعت الدكاكين في مكان واحد ، بنى عضد الدوله اسواقا عند مدينه " رام هرمز " غايه في الحسن كانت تليها مبلطه مظلله "(١) وهذا التطور والازدهار ادى بطبيعه الحال الى تطور المعاملات المعرفيه وظهور الصرافين " فقد كان بسوق الصرافين بمدينة اصفهان مائتا صراف وكانوا جميعا يجلسون في سوق واحد يسمى سوق الصرافين . ولم تكن عن الصراف غنى في سوق البصره "(٢) كما ادى هذا الازدهار الى ظهور اسواق متخصصه في سلع محدده " فعندما رتب المنصور اسواق الكرخ جعل لكل تاجر وتجارة في شوارع معلومه وصنوف في تلك الشوارع وحوانيت واعراض ، ليس يختلط قوم بقوم ولا يباع صنف مع غير صنفه وقد تجمع اصحاب كل حرفه او مهنه في سوق واحد ففي سنه ١٤٥ هـ نجد في المدينه اسواق التمارين اصحاب الاقفاص والحطابين والزياتين ، ولعل هذا يظهر جليا في بغداد كما اشرنا حيث جعل المنصور لكل تاجر وتجارة شوارع معلومه وصنوف في تلك الشوارع والحوانيت ... نجد سوقا للنحاسين وباعه الدجاج ، والدباغين واصحاب السلع والباقلايين والسماكين واصحاب الكاغد ، واصحاب النعال ، والحطارين ، والصيادله ، واصحاب الدهين ، والجواهريين ، وفي بغداد سوق

---

(١) الحسبه والمحتسب في الاسلام د . نقولا زيادة صـ٢٠ / بيروت

(٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ادم متز ج٢ صـ ٢٨١

خاصه لبيع انواع الفواكه سميت بسوق البطيخ كما رتبت اسواق سامراء على اساس التخصص الحرفي ، كاسواق بغداد ، وكذلك اسواق القدس ومكه ويطبق هذا الوصف على اسواق مصر واصفهان والموصل وسمرقند وحلب (١) .

وقد اهتمت دوله الخلافه بالحفاظ على الموازين من التلاعب :

فيذكر ابن طيفور (٢٨٠هـ) انه لما دخل المامون بغداد اقام بالرصافه الى ان بنى منزله على شط دجله . وكان يسأل عن امور الناس وما يصلحها ، فرفع اليه في رمضان ان التجار يعتدون على ضعفاء الناس في الكيل ، فامر بتعيير قصير في وسطه عمودا وسمى " الملجم " يغيروا كيلهم على صغارها وكبارها ففعلوا ذلك فرضي للناس (٢) كما وضع الحراس في الاسواق لحمايتها من اللصوص واصبحت من الشروط الدرعيه ان يشرف عليها المحتسب (٣) .

ونتيجه لهذا التطور وهذا الازدهار كان من الواجب ان يشرف على الاسواق رجلا امينا يراعي حقوق الله في الناس وينظر في اسواقهم حفاظا على المسلمين من غش تاجر او ابتزاز بشع او احتكار ظالم .

ولذلك ذكر علماؤنا رحمهم الله من ان " على المحتسب ان يتفقد احوال السوق باستمرار وكذلك الطرقات في العامه . وان يلازمها في اوقات الغفله ، يتميز له عيونا يوصلون اليه الاخبار واحوال السوق " (٤) .

---

(١) الاصناف في العصر العباسي (نشأتها وتطورها) صباح ابراهيم الشيخلي ص٢٤، ٢٥ ، ٧٥، ٧٦

(٢) كتاب بغداد ابي الفضل احمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن حليبور ص ١٩

(٣) الاصناف في العصر العباسي ص ٧٩

(٤) احكام السوق يحيى بن عمر ص ١٠٣ ــ ١٠٤

وكان المحتسب يتدخل احيانا فى شوون النقد ، فهناك اشاره الى قيام هارون بن ابراهيم الهاشمى المحتسب بذلك انه " امر اهل بغداد ان يتعاملوا بالفلوس فتعاملوا بها على كره منهم ثم تركوها " (١)

وابن سعد فى طبقاته يحدثنا عن عاصم الاحول المحتسب فقد ظهر فى العصر العباسى يقول عنه " كان قاضيا فى المدائن فى خلافه ابى جعفر المنصور ، وكان على الكوفه على الحسبه ، فى المكاييل والاوزان " (٢)

وكان ابوسعيد الاصطخرى الذى ولى الحسبه ببغداد فى ايام المقتدر " ازال سوق "الدادى" ومنع منها ،وقال لا يصلح الا للنبيذ المحرم واقر سوق اللعب ولم يمنع منها ، وقال "كانت عائشه رضى الله عنها تلعب بالبنات بمشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣)

ولم يكن المسؤولون يتهاونون مع المحتسب اذا قصر فى عمله ، وقد بلغ علبا بن عيسى الوزير ان محتسب بغداد كان يكثر الجلوس فى داره ، فكتب له توقيعا جاء فيه ان " الحسبه لا تحتمل الحجه ، فطف بالاسواق تدر لك الارزاق ، وان لزمت دارك صار الاصر كله عليك والسلام " (٤)

وكان يفترض فى المحتسب ان يقوم بواجباته على الوجه الاكمل حسبه لله وان هذا العمل يرتزق منه ولا يفرط فى ذلك ضمانا للمصلحه العامه . " الا ان ذلك لم يحدث على الدوام ، وعلى ذلك فقد كان على صاحب الخبر" وموظفى البريد ايصال اخبارهم الى الخليفه ضمن ماكانوا

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٣٦٦

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٧ ص٢٥٦

(٣) الاحكام السلطانيه الماوردى ص٢٥١

(٤) الموسسات الادارية د . حسام السامرائى ص ٣١٧

يوصلون اليه من اخبار عن احوال العامه ، فقد نقل ابن الجوزي خبرا ان المعتضد قد بلغه ان احد الباعه قال متذمرا " ليس للمسلمين من ينظر في امورهم " فامر المعتضد باحضاره وسأله عما قصد بقوله فاجاب " انما اعني المحتسب علينا " فامر المعتضد باحضار المحتسب وانكر عليه ترك النظر في امور السوق ، وامره بمزاوله اعماله على اتم وجه ٠٠٠ حتى لا يبخس احدا شيئا في حقه " ويبدو ان " الداينالي " المحتسب الذي ولي الحسبه ببغداد في وزارة الحسين بن القاسم كان يواجه نفس الانتقاد السابق "(١)

ونجد بعض هذا التذمر من المحتسبين في قول الماوردي وهو ينصح المسئول بقوله " واعلم انه منصب جليل منصب الاحتساب ، وقد ولاه امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه ، فعدلت السوقه ، خوفا من سطوته ، وباسه ، فيجب عليك ان تبادره للنظر في ذلك والاهتمام بالفحص عما هناك ولا تكل امر هذا الباب الى متولي الاحتساب ، فان محتسبي هذا الزمان ـ وكما نعلم ان الماوردي عاش العصر العباسي وتوفي سنه ٤٥٠ وهو يصف حاله زمانه ـ كل منهم خبيث لبيب ٠٠٠٠ ثم يقول ويجب ان لا يعتمد على متولي منصب الاحتساب فقد انخرم نظام هذا المنصب ، وصار المحتسب عاملا مكاسا ليس له دأب الاجمع السحت من سوقه هذا الزمان ٠٠٠٠ ثم يوصي المسئول بنصيحته ان لا يكل امره لمتولي الحسبه خصوصا ما يتعلق بالاقوات "(٢)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٣٤

(٢) التحفه الملوكيه في الاداب السياسية / المنسوب للماوردي (باختصار) ص١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧/ تحقيق فواد عبد المنعم

واذا ظهر استغلال المحتسب لوظيفته عند بعض المحتسبين ، فلا يعني ان هذه هي صورتهم في كل العصور بل نجد " ان منهم من كان يقوم بواجبه على اتم وجه ، ويعمل جهده في النصح ومحاربة المنكر ، مهما كانت مكانة القائم به او منصبه حتى لو كان الخليفه نفسه .

فقد ورد ان ابي الحسن النوبي المحتسب كسر دنان خمر محموله الى دار الخليفه وقد وضع نفسه ندا للخليفه على اعتبار انه منكر "(١)

واذا كان منصب الاحتساب قد اهتز في بعض الفترات كما رأينا من تكون الماوردي فهي مسالة طبيعية كما ذكرنا سابقا تتجه لها حكم الدوله السياسية خصوصا في مرحلة الانحلال يقول الاستاذ تقي الدين الدوري " فقد استشرى الفساد في الحسبه كما استشرى في سائر مؤسسات الدوله في عصر امرء الامراء ٣٢٤ ـ ٣٣٤ هـ ، وقد اخذ المحتسب كل الاساليب الملتويه لابتزاز الاموال من الناس ، وفي هذا الخصوص نذكر ان " علي بن هشيم " المحتسب احتال على جاريه اخذ منها حليا وثيابا ، وكان هذا منه ٣٢٩هـ في زمن الخليفه الراضي واميرالامراء " بجكم "(٢)

وهذا الفساد استشرى في الوزارة التي هي اهم من ولاية الاحتساب ، ففي العهد البويهي " انه من كان يرغب في الوزارة يتعهد للامير البويهي بتقديم مبلغ معين من المال

---

(١) المؤسسات الادارية حسام السامرائي ص ٣٣٥

(٢) عصر امرة الامراء في العراق تقي الدين الدوري ص ٢١٨

لقاء توليه هذا المنصب ثم يعمد بعد ذلك الى فرض ضرائب جديده على الناس تعويضا لما قدمه من مال او وفاء لالتزاماته نحو الامير "(١)

وكما ذكرت ان هذا الضعف حصل نتيجه ضعف الدوله باجمعها ، بما فيها هذه الموسسات ورغم هذا كله يبقى منصب الحسبه منصبا اسلاميا رائعا يمثل وجه الحضارة الاسلاميه في هذا الجانب رغم سوء استعماله من قبل بعض المحتسبين الذين لم يودوا حقه حق الاداء . واذا كنا قد ذكرنا الحسبه على ذى الجاه والسلطان واهل الذمه والحسبه على الاسواق فلا يعني هذا ان مهام المحتسب واطر عمله قد اقتصر على هذه الانواع الثلاثه دون غيرها من اوجه نشاط المجتمع انذاك ، بل هذا شمل تقريبا كل الموسسات والصناعات ومرافق الدوله . فقد وردت الحسبه على القضاه في العصر العباسي ، وان ابا سعيد الاصطخري المحتسب " كان ياتي باب القاضي ، فاذا لم يجده جالسا يفصل في القضايا ، امر ان يستكشف عنه هل به عذر يمنعه من الجلوس ، من اكل او شرب او حاجه انسان ، ونحو ذلك ، فان لم يجد به عذرا امره بالجلوس للحكم "(٢)

وكان من مهام المحتسب مراقبه الاطباء والاحتساب عليهم في هذا العصر .

ففي عام ٣١٩٠ هـ اتصل بالمقتدر ان رجلا من الاطباء غلط في معالجه رجل فمات فامر محتسبه " ابابطيحه " بمنع جميع الاطباء من المعالجه الا من امتحنه " سنان بن ثابت "

---

(١) الحياه السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري/فاضل الخالدي ص ٢٣٥

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ج٣ ص٢٣٢ تحقيق عبدالفتاح الحلو

وكتب له رقعه بما يُطلق له التصرف فيه من صناعه الطب ، فامر " سنانا " بامتحان الاطباء ، واحصى الاطباء من جانبي بغداد لامتحانهم ، فكان سنانا اذا جاء رجل ليمتحنه بدأ باجلاسه ثم قال له " قد اشتهيت ان اسمع من الشيخ شيئا ، احفظه عنه وان يذكر شيخه في الصناعه "(١)

ولم يقتصر عمل المحتسب على ابدان المسلمين من الاسقام بل كان من واجبه حفظ عقول المسلمين من الانحراف ، وتحصينها من الافكار الهدامه والمخالفه للشرع الحنيف وبذلك فقد كان المحتسب في العصر العباسي يحارب الزندقه ، فقد ظهرت لنا صور للاحتساب على الزندقه بل " انشئ ديوان خاص بالزندقه وتعين موظف على راسه ، مهمته تتبع الزنادقه للقضاء عليهم اذ لم تنفع معهم وسائل الاقناع "(٢)

ففي زمن الخليفه محمد المهدي امر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقه والملحدين وافنى منهم خلقا كثيرا "(٣)

وحينما كان المهدي بحلب عزم العسكر واغزى ابنه هارون بلاد الروم وسير محتسب حلب " عبدالجبار " فاحضر له جماعه من الزنادقه فقتلهم بحلب "(٤)

هذا وغيره من صور الاحتساب نجدها متمثله في العصر العباسي

---

(١) الحضارة الاسلاميه في القرن الرابع الهجري ادم متز ج٢ ص٢٠٨ / وفضل علماء المسلمين على الحضارة الغربية د . عزالدين فراج ص٢١٨ / ط١٩٧٨

(٢) الحسبه المذهبيه في بلاد المغرب العربي موسى القبال ص ٢٣

(٣) اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ابي العباس احمد بن يوسف الدمشقي المعروف (بالقرماني) ص ١٣٨ ط ١٢٨٢

(٤) زبدة الحلب في تاريخ حلب كمال الدين عمر بن احمد بن هبه الله ابن العديم ج١ ص ٥٩ تحقيق سامي الدهان .

الفصل الرابع

****

شروط المحتسب في العصر العباسي وتكييف وظيفته عمله

اهلية المحتسب لمنصب الاحتساب مسألة مهمة . فلا يمكن تعيين المحتسب في هذه الولاية ان لم تتوفر فيه شروطا وضعها العلماء ، لابد ان تتحقق فيمن يتعين لهذه الوظيفة .

اما تكييف عمل المحتسب فقد اخذ من كتاب الحسبة مجالا لبحثها في كتبهم ، هل عمل المحتسب هو عمل القاضي او قاضي المظالم او غير ذلك ؟

هذا ما سنراه ان شاء الله في هذا الفصل الذي قسمناه مبحثين .

المبحث الاول

الشروط التي كانت تراعى في المحتسب في العصر العباسي

لقد تطرق مؤلفوا الحسبة الى الشروط التي يجب توفرها في المحتسب ، خصوصا وان اختصاصاته بدأت تتسع باتساع المهن والصناعات وظهور حرف جديدة لم تكن في السابق ، او كانت ولكن بشكل لم يكن بمثل هذا التطور الى وصلت اليه .

ولذلك وضع العلماء شروطا لولي الحسبة ، وان كانوا لم يتفقوا على هذه الشروط جميعها فالامام الماوردي ذكر ان من شروط والي الحسبة ، ان يكون حرا عدلا ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة .

ويضيف بان الفقهاء اختلفوا من اصحاب الشافعي ، هل يجوز ان يحمل الناس فيما ينكره من الامور التي اختلف فيها على رايه واجتهاده ، ام انه ليس له هذا ؟ على وجهين احداهما وهو قول ابي سعيد الاصطخري انه يحمل ذلك على رايه واجتهاده ، فعلى هذا يجب على المحتسب ان يكون عالما من اهل الاجتهاد في احكام الدين ليجتهد رايه فيما اختلف فيه ، والوجه الثاني على عكسه فليس له ان يحمل الناس على رايه واجتهاده "(١)

اما بالنسبه لابن الاخوه القرشي " فهو يرى :

ان المحتسب من نصبه الامام او نائبة للنظر في احوال الرعيه والكشف عن امورهم ومصالحهم ومن شروط المحتسب ان يكون مسلما حرا بالغا عاقلا عدلا قادرا محتى يخرج منه الصبي والمجنون والكافر ، ويدخل فيه آحاد الرعايا ، وان لم يكونوا ماذونين ، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأه "(٢)

والايمان على راس هذه الشروط التي يجب توفرها في المحتسب اذ لاخلاف لكلمه الفقهاء فيه فالحسبه ولايه اسلاميه ، ولا ولايه للكافر على المسلم "(٣) اعمالا لقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا)(٤) فلا بد من الايمان ، لان هذا نصوللدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد لاصل الدين وعدو له ؟

ويقول الدكتور الصيفي في هذا المجال " ان نظره الاسلام الى المنكر تختلف عن نظره الكفار له ، ومن شأن هذا الاختلاف ان يوضع المسلمون في حرج اذا تولى الحسبه عليهم من ليس

---

(١) الاحكام السلطانيه الماوردي ص ٢٤١

(٢) معالم القربه ابن الاخوه القرشي ص٥١

(٣) التيسير في احكام التسعير المجيلدي ص٤٣ تحقيق موسى التبال ـ الشركة الوطنيه للنشر / الجزائر

(٤) سورة النساء ايه ـ ١٤١ ـ

بمسلم (١)

والامام الغزالى عند طرقه لشروط المحتسب فانه يرى " ان المحتسب لابد ان يكون مكلفا مسلما ، قادرا ، فيخرج منه المجنون والصبى والكافر والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأه " (٢).

فالغزالى يذكر اربعه شروط للمحتسب ثم يناقشها وهى :

(١) التكليف .

(٢) الايمان .

(٣) العداله .

(٤) كونه ماذونا من جهه الامام والوالى .

وفى شرط التكليف ذكر " ان غير المكلف لا يلزمه امر ، يقول " وما ذكرناه اردنا به شرط الوجوب ، فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل ، حتى الصبى المراهق للبلوغ المميز ، وان لم يكن مكلفا ـ فله انكار المنكر ، وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهى واذا فعل ذلك نال به ثوابا ، ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف ، فان عقوبته تربيه وهو من أهلها كالصلاه وسائر القربات " (٣).

وفى راينا ان كلام الامام الغزالى فى عدم اشتراطه التكليف فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

---

(١) نظام الحسبه فى الاسلام عبدالفتاح الصيفى ص ٧٦

(٢) احياء علوم الدين الغزالى ص ٣١٢

(٣) احياء علوم الدين الامام ابى حامد الغزالى ص ٣١٢

ينصرف الى المتطوع دون المحتسب الموظف ، على عكس ما ذهب اليه استاذنا الصيفي اذ قال " ان الامام الغزالي يصرف شروطه المذكوره الى من يتولى الحسبه ، محتسبا كان او متطوعا ، ولدينا ان الشروط ينبغي توافرها في احد هذين تختلف عند الاخر فالمحتسب وقد نصبه الامام للحسبه لابد ان يكون حرا مكلفا ، غير فاسق "(١) اهـ

وشرط التكليف حينما ذكره الامام الغزالي جعله الشرط الاول في التعداد لاهميته ثم ذكر الغزالي بعد ذلك ان تغيير المنكر والامر بالمعروف لا يشترط فيه التكليف ، وهذا بالنسبه للاحتساب التطوعي ، بدليل قول الامام الغزالي بعد ذلك " وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط التكليف "(٢) وبما ان الحسبه ولايه من الولايات ، فلابد للتكليف منها " لعدم انضباط الامور غالبا مع الصبي "(٣)

اما العداله فلم يتفق الفقهاء في كونها شرطا في المحتسب ، فقد اشترطها الامام الماوردي فقال كما ذكرنا " ان يكون المحتسب حرا عدلا "(٤) فان بهذا ليس للفاسق ان يكون محتسبا على عكس ما ذهب اليه الامام الغزالي من ان الفاسق له ان يحتسب وذلك حينما قال " وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب "(٥) ثم جاء بحجج للرد على من قال باشتراط العداله للمحتسب .

وكذلك اشترط مولفوا الحسبه ان المحتسب لابد ان يكون " عالما "(٦) وان لا يولاها

---

(١) نظام الحسبه في الاسلام د . عبدالفتاح الصيفي
(٢) احياء علوم الدين ص ٣١٢
(٣) التيسير في احكام التسعير المجليدي ص ٤٣ / تحقيق موسى القبال ـ الشركه الوطنيه للنشر / الجزائر
(٤) الاحكام السلطانيه الماوردي ص ٢٤١
(٥) احياء علوم الدين الغزالي جـ٢ ص ٣١٢
(٦) الاحكام السلطانيه الماوردي ص ٢٤١

الا عالم مجرب " [1] فقيه باحكام الشريعه الاسلاميه ليعلم ما يؤمر به وما ينهى عنه اذ كيف يامر بالمعروف من لا يعرف المعروف ، وكيف ينهى عن المنكر من لا يعرف المنكر ، والمعروف هو ما امر به الشرع وحث عليه ، بعكس المنكر لذا لابد للمحتسب وهو يقوم بعمله ان يكون عالما بالشريعه الاسلاميه ، من كتاب وسنه وما يندرج تحتها من علوم تؤهله للقيام بعمله .

ويرى الدكتور الصيفى " ان العلم لا يقتصر على العلم بالاحكام الشرعيه فيما يامر به المحتسب وفيما ينهى عنه فيقول " فالشرط يتجاوز ـ فى نظرنا ـ الالمام بالعلوم الشرعيه الى ماعداها من العلوم غير الشرعيه " [2] .

والحق ان علم المحتسب بكونه لا يقتصر على المسائل الشرعيه ، بل يتعدى الى العلوم الاخرى فى مسأله تمليها مهمه المحتسب فالمحتسب على الاطباء لابد له من العلم باعضاء الجسم والادويه والتشريح وكل ما يتعلق بامور الطب ، والمحتسب على الصيادله لابد ان يعرف فى الكيمياء واثرها والادويه ومقاديرها ، والمحتسب على الصرافين لابد ان يعرف الذهب ونسبته ووزنه وما يطرأ عليه من غش او خلط او غيره .

وهذه العلوم ـ اى غير الشرعيه ـ لا يشترط ان تكون فى كل موظف فى جهاز المحسبه بل ان هذا الجهاز فيه رئيس وموظفين واعوان ومساعدون الى غير ذلك مما يكون عليه اى جهاز ادارى اخر " فالنسبه للرئيس الاعلى او بعبارة اخرى المحتسب الاول فى الدوله يكفى علمه

---

(١) الموسسات الادارية د . حسام السامرائى نقلا عن الناصر الاطروش الاحتساب ص ١٣

(٢) نظام الحسبه فى الاسلام د . عبدالفتاح الصيفى ص ٨٣ .

باحكام الشرع ، لانه هو الذى يتولى تحديد مجال اختصاص نوابه ومساعديه واعوانه سواء بالنسبه لما يتعلق بالمنكر ذاته ام بالنسبه لموقفهم من كل منكر على حده "(١)

واشترط بعض الفقهاء " الحريه " فلايجوز للعبد ان يتولى هذا المنصب فقد اورد الماوردى ان المحتسب ان يكور " حرا "(٢) وكذا ابن الاخوه القرشى اذ يقول " ومن شرط المحتسب ان يكون حرا "(٣)

كما ينبغى عند بعض الفقهاء ان يكون " ذا راى وخبرته فى الدين وعلم بالمنكرات الظاهره "(٤) وقد اشترط بعضهم ان يكون ذكرا فالمجيلدى يرى انه لابد للذكوريه " فى المحتسب " اذ يقول " يشترط فى المحتسب ان يكون (ذكرا ، اذ للداعى الى اشتراط الذكورية اسبـــاب لاتخفى وامور لاتستقصى "(٥) وقد علل توليه الخليفه عمر بن الخطاب رضى الله عنه " لام الشفاء على سوق من اسواق المدينه بان الحكم على الغالب والشاذ لاحكم له ثم انه رجح ندوه تلك التوليه واعزاها الى امر خاص بامور النساء "(٦)

واذا صحت الروايات التى اوردها ابن عبدالبر فى " الاستيعاب " " من ان سمراء بنت نهيك الاسديه " كانت تمر فى الاسواق وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها "(٧) او ماورده هو كذلك " من ان سيده قرشيه لها منزله كبيره لسدى عمر بن الخطاب كان عمر رضى الله عنه يقدمها فى الراى وربما ولاها شيئا من امور السوق "(٨)

---

(١) المصدر السابق ص ٨٤

(٢) الاحكام السلطانيه الماوردى ص ٢٤١

(٣) معالم القربه لابن الاخوه القرشى ص ٥١

(٤) نفس المصدر السابق ص ٥١ / والاحكام السلطانيه للماوردى ص ٢٤١

(٥) التيسير فى احكام التسعير ص ٤٣

(٦) التيسير فى احكام التسعير ص ٤٢ ــ ٤٣

(٧) الاستيعاب / ابن عبدالبر ــ القسم الرابع (كتاب النساء ص ١٨٦٣

او ما اورده ابن الجوزى من ان عمر بن الخطاب كان اذا دخل السوق يأتى الى امراة تدعى الشفاء ، وكانت من المهاجرات الاول (١) .

اقول اذا صحت هذه الروايات ، فيبقى الاصل من ان هذه الوظيفة يشترط للمارستها ان يكون ذكرا ، سدا للذريعه فالاسواق فيها الهرج والمرج ويحضرها الصالح والطالح ووجود امرأه فيها مدعاة للفتنه اكثر على المحتسبه نفسها ، واذا كان لابد من تعيين محتسبه فهو من باب الاضطرار ، كأن يكون جناح خاص للحريم ويُعيّن الامن عندها دين وتكون كبيرة فى السن مثلا ، اما الاصل فيبقى كما ذكر ذلك المجيلدى رحمه الله .

هذا وغيره من الشروط السابقه اذا كانت انطبقت على المكلف للحسبه ، فلا يشترط توفرها فى المتطوع ، فالصبى يجوز له ان يحتسب والعبد والفاسق كما راينا ذلك فى راى الامام الغزالى والمرأه كذلك بقوله تعالى (والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

اما اذن الولى الذى اشترطه البعض فهو لا يستقيم دلاله ـ لاصراحه ـ من تفريق العلماء بين المحتسب والمتطوع فيما ان المحتسب ينصبه الوالى للحسبه فقد حصل على اذنه صراحه (٢) .

والامام الغزالى ينتقد هذا الشرط قائلا " فقد شرط قوم هذا الشرط ـ اى اذن الولى ـ ولم يثبتوا ، للاحاد من الرعيه الحسبه وهذا شرط فاسد (٣) .

---

(١) مناقب امير المومنين عمر بن الخطاب ابن الجوزى ص ٩٧

(٢) نظام الحسبه فى الاسلام د . عبدالفتاح الصيفى ص ٩٦

(٣) احياء علوم الدين الغزالى ص ٣١٥

اضافه الى هذه الشروط فقد ذكر العلماء جمله من الاداب والصناعات على المحتسب ان يتحلى بها ويتصف بها فقد ذكر الغزالى رحمه الله :

" ان على المحتسب ان يتصف بالعلم والورع وحسن الخلق ، فاما العلم فليعلم مواقع الحسبه وحدودها ومجاريها ، وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع ليردعه عن مخالفه معلومه فما اكل من علم عمل بعلمه ، بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبه وزائد على الحد الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض ، وليكن كلامه ووعظه مقبولا ، واما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق ، وان يصبر على ما يصيبه فى دين الله (١) ، وان يعمل بما علم وان لا يكون قوله مخالفا لفعله وان يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى وطلب مرضاته ، وان يكون موظبا على سنه الرسول صلى الله عليه وسلم

ان هذه الشروط التي ذكرناها سابقا تكاد تكون منطبقه على العصر العباسى ، فمن خلال تتبعنا لتراجم المحتسبين فى هذا العصر ، وجدنا ان كثيرا منهم كانوا قضاه كما سياتى ان شاء الله (٢) ، والقاضى لا يكون قاضيا الا اذا توفرت فيه شروط ذكرها العلماء " فيشترط فيمن يتولى منصب القضاء ، الاسلام ، والعقل والبلوغ والذكوره — وهو راى الجمهور — على خلاف الاحناف الذين يرون جواز ولايه المرأه للقضاء فى غير الحدود والقصاص ، وكذلك تشترط العداله وهى معتبره فى كل ولايه عند الجمهور وكذا العلم

---

(١) احياء علوم الدين الغزالى جـ٢ صـ ٣٣٣

(٢) انظر صـ ٦٤ من البحث — تكيف طبيعه عمل المحتسب بين القاضى ووالى المظالم

وغير ذلك من الشروط (١) .

ونذكر في هذا المجال بعض المحتسبين للدلالة على ان هذه الشروط كانت متوفرة في المحتسبين في العصر العباسي على العموم .

فقد ذكر السبكي في ترجمته لابي سعيد الاصطخري " انه كان احد الائمة المذكورين من شيوخ الفقهاء الشافعيين ، كان ورعا زاهدا متقللا ... وقال ابو اسحاق المروزي لما دخلت بغداد ، لم يكن بها من يستحق ان اذر س عليه الا ابو سعيد الاصطخري وابو العباس ابن شريح ..... ومن اخباره في حسبته .. انه كان ياتي الى باب القاضي فان لم يجده جالسا للقضاء يحتسب عليه .. وله مسائل وفوائد وغرائب في الفقه (٢) " وقال عنه ابن كثير " ولي قضاء قم ، ثم حسبه بغداد ، وله كتاب في القضاء ، لم يسنف مثله في بابه (٣) "

وذكر السمعاني نقلا عن ابن نقطه " في ترجمة القاضي ابراهيم بن عبدالله بن احمد الرُّطبي قال فيه ، وكان محتسبا ببغداد ، وكان فيه دين ويقظه (٤) "

وذكر الخطيب البغدادي في ترجمة احمد بن علي المحتسب المعروف (بابن التوزي) كان صدوقا كثير الكتاب (٥) "وقول العلماء في الرجل بانه ثقه او صدوق او غيرها من هذه الالفاظ كقولهم ثقه ثقة او ثقه كالجبل او غير ذلك كل هذه الالفاظ تعد من الفاظ التعديل (٦) "

واورد " ابن رجب الحنبلي " في كتابه ذيل طبقات الحنابله في ترجمة يوسف بن عبدالرحمن

---

(١) القضاء في الاسلام د . محمد عبدالقادر ابو فارس ص٣٢ ـ ٤١ ط ١٩٧٨ / وانظر القضاء والقضاء للاستاذ عمر غرامه العمروي ص ١٩ ـ ٢٠ ط ١٤٠٠ هـ

(٢) طبقات الشافعيه السبكي ج٣ ص ٢٣٠ ـ ٢٥٣

(٣) البداية والنهاية ابن كثير ج ١١ ط ١٩٢

(٤) الانساب السمعاني ج٦ ص ١٣٧

(٥) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ج٤ ص ٣٢٤

(٦) المبتكر الجامع لكتابي المختصر والمعتصر في علم الحديث ـ عبدالوهاب عبداللطيف

بن الجوزى بانه " الفقيه الاصولى والواعظ ، استاذ دار الخلافه المستعصميه ، سمع من كثير من المشايخ ، وقرأ القران بالروايات العشر ، واشتغل بالفقه والخلاف والاصول ولى الولايات الجليله ، منها انه ولى الحسبه بجانبى بغداد "(١)

وذكر ابو الفداء وغيره فى ترجمه نافع بن عبدالرحمن المقرئ " احد القراء السبعه ، كان امام اهل المدينه فى القراءة وكان محتسبا فيه دهابه ، قرا مالك عليه القران ، كان ثقه عالما عالما بوجوه القراءات متبعا لاثار الائمه الماضيين ببلده ، قال قالون : كان نافع اطهر الناس خلقا ، ومن احسن الناس قراءة ، وكان زاهدا جوادا ، قال مالك : نافع امام الناس فى القراءة ، وثقه ابن معين ، لما حضرته الوفاة قاله ابناؤه اوصنا قال " اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين "(٢)

وهكذا نجد ان هولاء المحتسبين توفرت فيهم شروط المحتسب التى ذكرها العلماء ، فكانوا علماء ، عدول ، ثقات ، صالحين الى غير ذلك من مراتب التعديل .

ولم نقف على حادثه او واقعه تدلنا على ان منصب الاحتساب تولاه امرأه فى العصر العباسى

وقد راينا ومن خلال التتبع والاستقراء ان بعض المحتسبين افتقدوا بعض هذه الشروط ولذلك قلنا قبل قليل ان شروط العلماء فى الاحتساب تكاد تكون منطبقه على العصر العباسى واحترسنا بقولنا " تكاد تكون منطبقه " وقولنا انها منطبقه على العموم "(٣)

---

(١) ذيل طبقات الحنابله ابن رجب الحنبلى جـ٤ صـ ٢٥٨

(٢) المختصر فى اخبار البشر لابى الفداء اسماعيل جـ٣ صـ١٧ ظ٥٩ / سراج القارى المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى لابى القاسم على بن عثمان العذرى البغدادى صـ٩ دار الفكر غايه النهايه فى طبقات القراء لمحمد بن محمد الجزرى جـ٢ صـ ٣٣٠ ــ ٣٣٣ ط ١٤٠٠ هـ معرفه القراء الكبار ، للذهبى صـ ٨٩ ــ ٩٠ ــ ٩١ ط الاولى بمصر والايه من سوره الانفال : ١

(٣) انظر صـ٧٣٧٤ من البحث

يقول الدكتور " حسام السامرائي " ويبدو ان الشروط التي يجب توفرها في المحتسب كانت تهمل احيانا خلال الفترة التي ندرسها ـ ٢٤٧ ـ ٣٣٤هـ ـ وهي جزء من العصر العباسي وتروننا اشارتان توكدان ان قاعده الانتقاء من ذوي الكفاءة قد جرى تجاوزها ، وبدأ منصب الاحتساب يلازم بعض الافراد طوال حياتهم ، ثم ينتقل الى ابنائهم وكأنه منصب وراثي ، فقد كان " محمد بن احمد بن عبدالباقي " ولي الحسبه هو وابوه وجده بالتتابع ونفس الامر حصل لمحمد بن عبدالله الهاشمي الذي خلف اباه على الحسبه حتى وفاته "(١)

وفي راينا ان وراثه الابن لابيه لهذا المنصب لا يخرق قاعده الانتقاء ، اذا كان الابن او الاخ فيه من الكفاءة ما توهله لاستلام هذا المنصب ، ثم بالرجوع الى المصدر الذي استقى منه الدكتور حسام ماذكره سابقا ، وهو تاريخ بغداد للخطيب عند ترجمه " محمد بن عبيدالله الهاشمي " وابيه عبيد الله الهاشمي ، لم نجد ان " محمد " الابن لم تتوفر فيه الشروط التي توهله للحسبه ، بل ان الخطيب ذكر عن "محمد" " كان يتولى حسبه بغداد والصلاة في جامع الرصافه من سنه ٢٨٤ الى حين وفاته "(٢)

وذكر في ترجمه ابيه " هبيدالله بن علي " امام جامع الرصافه في بغداد واليه الحسبه ببغداد ت ٢٨٤هـ . هذا كل ماذكره الخطيب البغدادي في هذا الشأن ، فاين هو خرق القاعدة في هذا المقام . ثم ان عبدالكريم وعبدالله وعبدالرحمن اولاد يوسف بن عبدالرحمن ابن الجوزي

---

(١) الموسسات الادارية د . حسام الدامرائي ص ٣٢٥

(٢) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج٢ ص ٣٣٠ ، ج١٠ ص ٣٣٩

تولوا الحسبه بعد ابيهم [١] وكل منهم كان اهلا لذلك .

لقد اوردت بعض الكتب ان بعض المحتسبين كانوا يفتقدون بعض الشروط ففي ترجمه الحسين بن احمد الحجاج ابوعبدالله الشاعر، ذكر ابن الجوزي عنه " انه كان محتسبا وانه كان تشاغل بالشعر وتفرد بالسخف الذي يدل على خساسه النفس ، فحصل الاموال به وصار ممن يتقى لسانه ، وانه استخلف على الحسبه ستة رجال كلهم لاخير فيه " [٢] كما ذكر ادم متز نقلا عن كتاب " اليتيمه " " وكان ابن الحجاج لسخفه ورداءة لسانه مخشي الجانب ، مقبول الشفاعه، لم يزل امره يتزايد حتى حصل الاموال ، وصار من اهل الجاه .

حتى قال لبعض الرؤساء ، حين كتب اليه يذكر ان سخفه جاوز التناهي .

سيدي سخفي الذي قد ... صار ياتي بالدواهي

انت تدري انه يـــد ... فع عن مالي وجاهي

قال وصار اخيرا محتسبا على مدينه بغداد .... ثم يقول وقد اتاح هو وامثاله فرصه ظهور الفحش المستشنع في المدن الشرقيه . فرفع هذا الفحش راسه بعد ان اخمدته الروح العربيه واخرجته من الادب العربي " [٣]

وذكر ادم فتز قلا عن الهمداني (مخطوط)

وقال ودفن الى جانب قبر جعفر الصادق محبه منه للشيعه ، وقد امر ان يكتب على قبره (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) [٤]

---

(١) ذيل الطبقات الحنابله ابن رجب الحنبلي جـ٤ ص ٢٥٨ ص ٢٦١ ــ ٢٦٢

(٢) المنتظم لابن الجوزي ص ١١٦ ــ ١١٧

(٣) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري جـ١ ص ٤٩٩

(٤) المرجع السابق جـ١ ص ٤٩٧ والايه في سورة الكهف ايه : ١١٧

وكان فى شعره سخف ومجون وفحش " لهذا جاء فى بعض كتب الحسبه ما يقضى بمنع الصبيان من حفظ اشعار ابن الحجاج (١)

كما ذكر ياقوت الحموى عن ابو القاسم الجهنى " قال : قال غرس النعمه حدثنى ابى قال حدثنى جدى قال : كان ابو القاسم الجهنى القاضى واظنه من اهل البصره وتقلد الحسبه بها ، ومنها عرف ابا محمد المهلبى وصحبه " يشتمل " اى القاضى الجهنى على اداب يتميز بها الا انه كان فاحش الكذب ، يورد من الحكايات ما لا يعلق بقبول ولا يدخل فى معقول (٢)

وهكذا نرى ان بعض الشروط كانت تهمل كما لاحظنا فيما سبق من حاله ابن الحجاج وابو القاسم الجهنى من فحش الاول وكذب الثانى وكلاهما توثران فى عداله الشخص .

ولكن مع هذا يبقى الاصل فالعبره للغالب الشائع لا للنادر ، واذا ظهر بعض المحتسبين الذين اخلوا بهذا المنصب فهو انعكاس لحاله الضعف الكليه التى تمر بها الدوله كما ذكرنا سابقا خصوصا فى مراحل الانحلال . فمثلا راينا شكوى الماوردى على محتسبه زمانه (٣) .

وقال هو ـ الماوردى ـ فى موقع اخر مشيرا الى ضعف الحسبه فى زمانه ومبينا ان حكمها يبقى وان قاعدتها لن تسقط يقول " ولكن لما اعرض السلطان ، وندب لها من هان ، وصارت عرضه للتكسب وقبول الرشا ، لأن امرها وهان على الناس خطرها ، وليس اذا وقع الاخلال بقاعده

---

(١) المرجع السابق جـ١ صـ ٥٠٠

(٢) معجم الادباء ياقوت الحموى جـ١٣ صـ ١٢٣ / الطبعه الاخيره

(٣) انظر صـ ٦١ من البحث (قول الماوردى)

سقط حكمها (١).

وربما يأتي خليفه له همه عاليه وهيبه وشجاعه فيزد هر منصب الاحتساب ، فقد ورد في كتب التاريخ " ان الحسبه ازدهرت في عهد المقتدى بامر الله العباسي حيث استعمل الخشونه ضد امراء الترك العابثين ، وقد اثرت شخصيته العاليه في نفوس الامراء الملتفين حوله في بغداد فتقوم نخر الدوله الى المحتسب في " الحريم " بنفي المفسدات وبيع دورهن فشهر جماعه منهن على الحمير مناديات على انفسهن وابعدهن الى الجانب الغربي . ومنع الناس من دخول الحلامات بغير مئزر ، وقلع الهوادن والابراج ومنع اللعب بالطيور لاجل الاطلاع على سطوح الناس ومنع الحماميين من اجراء ماء الحمامات الى دجله والزمهم ان يحفروا ابارا تجتمع المياه فيها ، وصار من يغسل السمك المالح يعبر الى " النجمي " فيغسل هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين (٢).

وفي عام ٤٩٤ هـ امر الخليفه المحتسب ان ينهى النساء من الخروج ليلا للتفرج في رمضان (٣).

وفي زمن المقتدر بامر الله ، وكان المحتسب ابي جعفر الخرقي انذاك ، " فقد كان زمنه زمن الفضيله وساعدته الظروف المحيطه به علاوة على ما في نفسه من حب الحق والتمسك بالمبدأ القويم ، فقد كان يومئذ ابو شجاع وزيرا ، وكان هذا الوزير من ذوي الشخصيات

---

(١) الاحكام السلطانيه الماوردي ص ٢٥٨

(٢) الحسبه عبدالرزاق الحسان ص ٧٩ نقلا عن الفخري ص ٢١٩

(٣) المصدر السابق ص ٨٠ طبغداد ١٩٤٦م

البعيده النظر لهذا تقدم الى المحتسب ان يوجب كل من يفتح دكانه يوم الجمعه ويغلقه يوم السبت من البزازين وغيرهم قائلا له هذه مشاركه لليهود في حفظ سبتهم (١)

---

(١) الحسبه عبدالرزاق الحصان ص ٨٠

المبحث الثانـــــــــى

+**********

تكييف طبيعة عمل المحتسب مع كل من والى القضاء والمظالم فى العصر العباسى

ذكرنا فيما سبق ان يد المحتسب دخلت مرافق الدوله للاحتساب عليها وذلك بمنعها عن الخروج على المشروعيه وحثه لها للاخذ بكل ما فيه للامه من خير . والقضاء هـــو احد هذه المرافق سواء كان قضاء المظالم اوالقضاء العادى ، ولكن رقابة المحتســـب الادارية عليه لاتكون الا على الاجراءات الفنية والشكليه لا اكثر . فهو لا يحاسب القاضى لانه اجتهد فى حكم اصدره ، وانما يحتسب فى الاجراءات الشكليه والفنية فقط ، مثـال ذلك ، ان يرى القاضى متخلفا عن موعد المحاكمه والناس ينتظرون . اوان يعقد جلســه الحكم فى غير مجلس القضاء كان يعقده فى المسجد اوان يرى منه امرا يخرم المروءه ولا يليق بمنصبه . (١)

هذا جانب والجانب الاخر هو ان منصب الحسبه يرفع عن كاهل القضاء الدعاوى المتعلقـه بالغصوب والتطفيف او مطل الغنى ، وهو من هذه الناحيه يخدم القضاء يرفع بعض العبء عنه كما قلنا سابقا .

اما بالنسبه لولاية المظالم فهى اعلى من القضاء العادى ، فقاضى المظالم كما يـــــرى

١ــ انظر صـــــ ٦٣ من البحث ، كيف ان الاصطخرى احتسب على القاضى لانه تخلف عن موعد المحاكمـه .

الماوردى وابويعلى الحنبلى هو الذى يوقع الى القاضى والمحتسب ولاعكس . فهو قضاء ينظر فيما عجز القضاء النظر فيه لمكانه الظالم مثلا كان يكون مسئولا كبيرا فى الدولـــه يقول الماوردى وابويعلى " واما الفرق بينهما ـ اى بين المظالم والحسبه ـ فمـــن وجهين ، احدهما ان النظر فى المظالم موضوع لما عجز عنه القضاء والنظر فى الحسبه موضوع لما رفه عنه القضاء ، ولذالك كانت رتبه المظالم اعلى ورتبه الحسبه اخفض ، وجاز لوالى المظالم ان يوقع الى القضاء والمحتسبين ، ولم يجز للمحتسب ان يوقع الى احد منهما "(١) هذا بالاضافه الى الامور التى فرق بها العلماء بين القضاء والحسبه من جهه والحسبـــه والمظالم من جهه اخرى ، وهى مبسوطه فى كتب الحسبه .

والذى يستقره ما ذكره العلماء وعلى سبيل المثال (الاحكام السلطانيه) للماوردى يجـــد انه يمكن للمحتسب ان يقوم بعمل من اعمال القاضى اضافه الى وظيفته ، فقد ذكر رحمـه الله عند طرقه لقصور الحسبه عن احكام القضاء قوله " فاحدهما قصورها عن سماع عمـــوم الدعاوى الخارجه عن ظواهر المنكرات من الدعاوى فى العقود والمعاملات وسائر الحقـوق والمطالبات ، فلا يجوز ان ينتدب لسماع الدعوى لها ولا ان يتعرض للحكم فيها لا فى كثير الحقوق ولافى قليلها من درهم فيما دونه " . ثم يستطرد قائلا "الا ان يرد اليه بنـــص صريح تريد على اطلاق الحسبه فيجوز ويصير بهذه الزياده جامعا بين قضاء وحسبه "(٢)

---

(١) الاحكام السلطانيه الماوردى ص ٢٤٢ / بيروت ـ ط / ١٩٧٨ م
(٢) نفـــس المصدر السابق صـــــــ ٢٤٢

وبهذا فيجوز للمحتسب اضافه الى وظيفته ان يقوم باعمال القضاء ، وذلك ينص صريح وفى عصرنا العباسى والذى نحن بصدده " لم يقتصر عمل القاضى على مهام القضاء بل زادت له اختصاصات اخرى ، فاضيفت اليه احيانا الشرطه ، والمظالم ، والحسبه ، ودار الضرب والعيار ، وبيت المال ، والنظر فى اموال المحجوز عليهم بالاضافة الى الولايه على المساجد والخطابه والتدريس "(١)

وعند استقراء كتب التراجم والطبقات نجد ان كثيرا من القضاة فى العصر العباسى قد وكل اليهم وظيفه الحسبه اضافه الى القضاء ، او قد تولوا الحسبه وهم قضاة .

فهذا ابن سعد فى طبقاته الكبرى عندما يترجم لعاصم بن سليمان بن الاحول يقول (ابا عبدالرحمن ، وكان مولى لبنى تميم ، وكان قاضيا بالمدائن فى خلافه ابى جعفر المنصور وكان على الكوفه على الحسبه المكاييل والاوزان ، وكان ثقة كثير الحديث "(٢)

وكذلك تاج الدين السبكى فى طبقات الشافعيه))

وهو يترجم لابى سعيد الاصطخرى يقول عنه (قاضى قم ، وكان من الورع والدين بمكان وكانت فيه حده ، وولى حسبه بغداد)(٣)

وذكر السمعانى عن ابن نقطه فى كتابه **المخطوط "الاستدراك"** وهو يترجم للقاضى ابراهيم بن الرطبى يقول "كان محتسبا ببغداد ، وكان فيه دين **ويقظه**"(٤)

---

(١) الفنون الاسلاميه والوظائف على الاثار العربيه د . حسن باشا جـ٢ صـ ٨٣٦ ط ١٩٦٦م

(٢) الطبقات الكبرى ابن سعد جـ٧ ـ ٢٥٦

(٣) طبقات الشافعية لتاج الدين السبكى جـ٣ صـ ٢٣١

(٤) الانساب السمعانى جـ٦ صـ ١٣٧

ونجد العلامه سحنون ـ عبد السلام بن سعيد بن التنوخي ـ حين ولي القضاء صار ينظر في امور السوق ، وما يحدث فيها ، ويكافح الغش ويعاقب عليه ، ويخرج من السوق من يخل بالاداب وكان يحرض الناس على الاخلاق الفاضله ، ويحثهم على الخير والمعروف ، وينهاهم عن كل منكر ، بل انه كان يراقب مظاهرهم ويؤدب على سوء الحال في اللباس والهيئة ، حتى يكون المجتمع جميل المظهر والمخبر ، وكان يلاحق اولئك الذين يفسدون على الناس دينهم واخلاقهم من دعاة البدع والضلالات والانحراف . ولذا راينا يحرم على الخوارج من اباضيه ومعتزله عقد الحلقات في المساجد وفي الاندية العامه للمناقشه والمناظره ، حرصا على حمايه عقيده العوام من الزيغ والانحراف .

وقد قيد امراه كانت تتهم بسوء حتى قامت البينه على توبتها . كما ضرب اخرى بالسوط اتهمت بالجمع بين الرجال والنساء في بيتها ، واخرجها من الدار وبنى بابها واسكنها بين قوم صالحين .... وكان يامر بمعاقبه كل من يدعي الافلاس ، او يحتال للتهرب من وفاء ما بذمته من ديون .... وكان يشتد في ضربه ، ويعاود ذلك مرات حتى يودي ما عليه (١) الى غير ذلك من امور الحسبه .

وهكذا نجد ان القاضي سحنون كان يمارس امور الحسبه بالاضافة الى عمله الاصلي كقاضي سحنون رحمه الله عاش في ظل دوله الاغالبه والتي كانت خاضعه للخلافه العباسية وعاش

---

(١) انظر سحنون مشكاه نور وعلم وحق ـ سعدي ابو حبيب صـ٦٥ / دار الفكر ط ١٩٨١م

سحنون في القيروان يفتي الناس ويعظهم الى ان اختاره الله سبحانه وتعالى سنة اربعين ومائتين للهجره (١) .

وفي ايام سلطه الخليفه المستعين بالله اسندت وظيفة الحسبه الى صدر الدين ابن العديم قاضي قضاء الحنيفه في ذلك الوقت ، وبذلك يكون قد جمع بين القضاء والحسبه في آن واحد (٢) .

واورد ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمه القاضي (الاشناني) قال " وولي المقتدر منصب القضاء ابا الحسن بن علي الشيباني المعروف "بابن الاشناني " وكان من حفاظ الحديث ..... وكان قبل ذلك محتسبا ببغداد (٣) .

الى غير ذلك من النصوص والتي ترينا ان بعض القضاء قد اسندت اليهم الحسبه في العصر العباسي .

اسناد ولايه الحسبه الى جهاز الشرطه

بل نجد ان ولايه الحسبه اسندت الى صاحب الشرطه احيانا ، فقد اورد ان الاثير الجزري في كتابه " الكامل " وهو يؤرخ لسنه تسع عشره وثلثمائه قوله " قلد المقتدر ابا بكر محمد بن ياقوت الشرطه ، وفي سنه تسع عشر وثلثمائه قوى امر محمد ، وقلد مع الشرطه الحسبه وضم اليه رجالا يقوى بهم (٤) .

---

(١) انظر ترجمته في البدايه والنهاية لابن كثير جـ١٠ صـ ٣٢٣

(٢) الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية د . حسن باشا جـ٣ صـ ١٠٣٧

(٣) البداية والنهاية ابن كثير جـ١١ صـ ١٤٥

(٤) الكامل في التاريخ لابن الاثير الجزري جـ١١ صـ ١٦٦

وذكر نفس الحادثة ابن كثير فى البداية والنهاية قائلا " وفيها ، اى سنه تسع عشر وثلثمائه ، وقعت وحشه بين الخليفه ، ومؤنس ، بسبب ان الخليفه ولى الحسبه لرجل اسمه محمد بن ياقوت وكان اميرا على الشرطه "(١)

ومع هذا تبقى الحسبه مستقله عن كل الولايات ، لها اختصاصاتها ومكانتها المتميزه عن غيرها واذا راينا من النصوص السابقه انها قد تضاف الى ولايه اخرى كالقضاء والشرطه فهذا لا ينفى كونها بقيت مستقله من حيث الاصل ، لان كثيرا من المحتسبين لم يكونوا قضاه وحتى الذين ضمت اليهم من القضاء او الشرطه او غيرها ، فربما اضيفت اليهم " بنص" كما ذكر الماوردى اى انها استندت اليهم " بنص" من قبل السلطه العليا فى الدوله ، ويؤكد كلام الماوردى النص السابق فى تعين محمد بن ياقوت امير الشرطه والذى قال عنه ابن كثير والابن الاثير السجزرى .

قلد المقتدر ابو محمد بن ياقوت ....

وهذا التقليد من الخليفة لا يكون الا " بنص"

والذى نراه ومن باب تسهيل المعاملات وحسما للقضايا وخوفا من ضياع حقوق الناس بتأخير دعاواهم ، وخصوصا وان بعضها يحتاج الى الحسم السريع يجب ان تبقى الحسبه مستقله

---

(١) البداية والنهاية ابن كثير جـ١١ صـ ١٤٥

عما سواها ، من الولايات .

ولعل الواقع اعلى على الامام سحنون رحمه الله ان يفصل الحسبه عن القضاء بعد ان كان يباشر القضاء والحسبه وقد جمع بينهما يقول موسى لقبال :

" ولما انتصب سحنون في مهمته الجديده ، باشر شؤون القضاء والحسبه فاجتمعا في شخصه . ثم يستطرد قائلا " وقد احتفظ سحنون في النهاية بمنصب القضاء ، وعين للحسبه امناء او محتسبين ، وبذلك فصل الحسبه عن القضاء وافردها بعمال مستقلين . (١)

---

(١) الحسبه المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشاتها وتطورها) موسى لقبال صـ٤١ / الجزائر / ط ١٩٧١م

الفصل الخامس

****

اشهر الكتب والمحتسبين فى العصر العباسى

لقد ذكرت لنا كتب التراث بعض الكتب التى ظهرت فى العصر العباسى التى نظن انها اشهر الكتب التى الفت فى هذا العصر ، كما ذكرت لنا كتب التراث اسماء المحتسبين فى ذلك العصر وقد ارتأينا ان يكون هذا الفصل من مبحثين : ـ

المبحث الاول (اشهر الكتب التى الفت فى الاحتساب فى العصر العباسى)

ظلت قواعد الحسبة مبثوثة ومتفرقة ومختلطة بالمباحث الفقهية الى ان استقلت ووضعت لها كتبا مستقلة جمعت شتاتها ، ولمت شملها .

ومن هذه الكتب التى الفت فى العصر العباسى كتاب :

(احكام السوق ليحيى بن عمر الاندلسى سنه ٢٨٩ هـ)

" هو ابو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكنانى الاندلسى ، ولد سنه ٢٢٣ هـ نشا بقرطبه اخذ بمصر عن عدد من جلة العلماء ، وسافر الى الحجاز ثم رجع الى القيروان فاستقر بها والتقى بسحنون ، كان يحيى رحمه الله مالكيا فالف كتابا فى الرد على الشافعى وقد شن حمله على بعض العلماء الذين كانوا يقومون " مسجد السبت " للذكر والعباده وينشدون الاشعار بتطريب فرادى وجماعات ، والف كتابا فى الرد عليهم ، وكانت وفاته سنه ٢٨٩ هـ "(١)

---

(١) احكام السوق ليحيى بن عمر ص ١٠ ـ ١١ ، ١٢ ـ ١٣

اما عن كتابه " احكام السوق " فهو قد وضع لعامل السوق القواعد التى يتبعهـا مع التجار والباعه وتطرق الى كثير من الاحكام المتعلقه بالتدليس او التطفيف فى المكيال او خلط الشى بعضه ببعض .

مثال ذلك حينما تطرق فى (حكم الخبز يوجد فيه حجاره) قال " وسألت يحيى بن عمر عن رجل اشترى خبزه واكل منها لقمه او لقمتين فاصاب فيها حجاره ، هل يردها كلها على البائع ؟ (١)

او قوله " ان باع صاحب الفرن خبزا فاصيب عند اصحاب الحوانيت ناقصا — فهل يؤدب صاحب الحانوت الذى باعه ناقصا ويكسر عليه " (٢)

ويمتاز الكتاب بشيوع المباحث الفقهيه فيه كما انه يعكس الحياه الاقتصادية فى افريقيـــه خلال منتصف القرن الثالث الهجرى .

ثم ان المؤلف تكلم عن الحرف والصناعات وانه تناول مسائل اقتصادية هامه ، مثل التسعير والاحتكار ، وعقوبه التدليس ، والغش او نقص الميزان .

فمثلا قال فى " حكم من غش او نقص من الميزان .

قال :— سمعت ابن حبيب يقول ينبغى للسلطان ان يتفقد المكيال والميزان فى كل حيـــن وان يضرب الناس على الوفاء وكذلك مالك يقول ويامر به ولاه السوق بالمدينه " (٣)

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤

(٢) المرجع السابق ص ٥٦

(٣) المرجع السابق ص ١٠٨

وجاء في الاحتكار " قوله

" سمعت يحيى بن عمر يقول في هولاء المحتكرين اذا احتكروا الطعام وكان ذلك مضرا بالسوق ارى ان يباع عليهم فيكون لهم راس اموالهم والربح يوخذ منهم فيتصدق به ادباً لهم وينهوا عن ذلك فان عادوا كان الضرب والطواف والسجن لهم "(١)

والى جانب حديث المولف عن الحياة الاقتصادية نجد انه ينقل في الكتاب صورا عن الحياة الاجتماعيه " كحديثه عن الحمامات ودورها ، وعن المرأه في ذلك العصر وعن اهل الذمه ، وغير ذلك من الابواب ، فقد ذكر في " دور الاذى والقبور "

يقول " اوتي الى سحنون بامرأه يقال لها " حكيمه " كانت تجمع بين الرجال والنساء فشربت ، وامر سحنون فنحيت من دارها وطيّن باب دارها بالطين وامر ان تُجعل بين قوم صالحين فنقلت الى ذلك الموضع "(٢)

ويعتبر هذا الكتاب اول كتاب من نوعه في الحسبه حسب علمنا ولاندري ان كان هناك كتب الفت " مخطوطه " ولم تظهر بعد ، الا انه من خلال مراجع الحسبه وجدنا ان هذا الكتاب الف ووجد قبل كتب الحسبه ومن هنا تبرز اهميته .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١١٣

(٢) المصدر السابق ص ١٣٤

" الامر بالمعروف والنهى عن المنكـــر "

لابى بكر الخلال ٣١١

ومن الكتب التى الفت فى الاحتساب كتاب " الامر بالمعروف والنهى عن المنكر " لعالم جليل القدر ، عظيم الشان ، من كبار الحنابلة ، له مولفات عده فى كثير من العلوم فى التفسير والحديث وغيرها .

قال عنه خير الدين الزركلى فى ترجمته " احمد بن هارون " ابو بكر الخلال مفسر عالم بالحديث واللغه من كبار الحنابلة من اهل بغداد ، كانت حلقته بجامع المهـــدى قال ابن ابى الحلى " له التفاسير الدائرة والكتب السائره . وقال الذهبى جامع علم احمد ومرتبه . ومن كتبه " تفسير الغريب " وطبقات اصحاب ابن حنبل ، والحث على التجـــارة والصناعه والعمل ، والسنه والجامع لعلوم الامام احمد فى الحديث ، قيل لم يصنف فى مذهبه مثله نحو مئتى جزء "(١)

وكتابه الذى بين ايدينا والذى نحن بصدده يبين لنا ما قاله الامام الذهبى عـــن ان هذا الرجل كان جامعا لعلم الامام احمد ، فهو ينقل نقولات كثيره عن احمد ، والكتاب يمتاز بانه .

(١) يوقفنا على جقبه من تاريخ الامام احمد ونشاته واحتسابه ، اذ كان يقوم بالامـــر والنهى عن المنكر بنفسه .

---

(١) الاعلام خير الدين الزركلى جـ١ ص ٢٠٦ دار العلم للملايين ـ بيروت لبنان ط ١٩٨٠

فقد جاء في ذكر " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد " قول المولف رحمه الله " وحفظت عن ابي بكر المروزي انه قال كنت مع ابي عبدالله ـ يعني الامام احمد ـ في الطريق فراى صبيانا يقتتلون ، فعدل اليهم ففرق بينهم . (١)

وذكر عن اسلوب الامام احمد في التغيير قال عن ابي العباس ، صلى بابي عبدالله يوما جوين . فكان اذا سجد جمع ثوبه بيده اليسرى ، وكنت جنبه فلما صلينا قال لي ، وخفض من صوته ـ اي الامام احمد ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " اذا قام احدكم في الصلاة فلا يكف شعرا ولا ثوبا " .

فلما تمنا قال لي جوين . اي شي كان يقول لك ؟ قلت : قال لي كذا وكذا ، وما احسب المعنى الا لك .

(٢) كما ويمتاز الكتاب باسناد اخباره وفتاواه التي نقلها عن الامام احمد وغيره من العلماء فقد جاء " في باب ماروى في واجب الامر كيف هو :

قال المولف رحمه الله " اخبرنا سليمان بن الاشعث ابو داود السجستاني ان اباعبدالله احمد بن حنبل سئل عن الرجل يضرب الطنبور او الطبل ونحو ذلك .....) (٢)

(٣) تاييد مافعله عن الامام احمد بمصادره من السنه واعمال الصحابه رضي الله عنهم الذي عنوا عناية كبيرة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى انهم كانوا يتبعون الاطفال

---

(١) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لابي بكر الخلال ص ٧٦

(٢) نفس المصدر السابق ص ٨٩ وانظر ص ٩١ ، ٧٩ ،

في الازقه يخرقون الدفوف التي يلعبون بها سدا للذريعه .

فقد جاء في الكتاب : قال ابي الهيثم دخين كاتب عقبه بن لمامر ، لعقبه بن عامر ان لنا جيرانا يشربون الخمر ، وانا داع لهم الشرطه فياخذونهم : قال لاتفعل ولكن عظهم وتهددهم قال : ففعل فلم ينتهوا ، فجاء دخين فقال ، انى نهيتهم فلم ينتهوا وانى داع لهم الشرطه ، فقال عقبه ويحك لاتفعل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من ستر مؤمنا فكانما استحيا موؤده من قبرها "(١)

وقال ابوبكر في كتابه .

" قال احمد بن حنبل ، كان اصحاب عبدالله بن مسعود ، اذا مروا بقوم يرون منهم مايكرهون يقولون ، مهلا رحمكم الله "(٢)

(٤) والكتاب يتعرض لمناكير شائعه بيننا في الوقت الحاضر ، كقراءة القران بالالحان والمزمار والغناء ومخالطه الرجال للنساء الى غير ذلك .

فقد جاء في ذكر المزمار ، عن اشعث بن عبدالرحمن بن زيد قال رايت جدى زيدا راى غلاما معه زمار قصب ، فاخذها فشقها "(٣)

(٥) انه فصل المقال في كثير من القضايا التي لا زالت محل خلاف بين المشتغلين في الفقه الاسلامي الى الان منها الغناء وقراءة القران بالالحان والشطرنج وغيرها .

---

(١) نفس المصدر ص ٩١ وانظر ص ٧١ ، ٧٤ ، ٨٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٨٠

(٣) نفس المصدر ص ١٤٩

فقال المولف رحمه الله مثلا فى قراءة القران بالالحان .

" اخبرنا عبدالله بن احمد بن حنبل قال سمعت ابى قد سئل عن القراءة بالالحان فقال مُحدَث الا ان يكون من طباع الرجل ، يعنى طبع الرجل ، كما كان ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه "(١)

هذا وقد ضمن الكتاب اثنين واربعين بابا ، وجاء فى مائه وثلاثه عشر صفحه تطرق فى ابوابها عن امور تتعلق بالاحتساب وكيفيته وذكر ابوابا مهمه تشكل قواعد وفتاوى للمحتسب .

وقد عاش خلال العصر العباسى حيث توفى سنة ٣١١ .

كتاب الرتبه فى طلب الحسبه (مخطوط)

المنسوب الى على بن محمد الماوردى الشافعى رحمه الله ٤٥٠ هـ

ومن الكتب التى الفت فى الحسبه هو كتاب " الرتبه فى طلب الحسبه للعلامه الماوردى الشافعى واذا صحت نسبه هذا الكتاب للمؤلف فهو بحق الحجر الاساسى للكتب التى جاءت بعده مثل الشيزرى فى (نهاية الرتبه فى طلب الحسبه) وكتاب(معالم القربه فى طلب الحسبه)لابن الاخوه القرشى وكتاب(نهاية الرتبه فى طلب الحسبه)لابن بسام ، وكتاب(الرتبه فى الحسبه)لابن الرفعه اذ ان منهج هولاء العلماء واحد فى التاليف وكأن احدهم اخذ من الاخر . فلا نجد ان فروقا

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٣ وانظر ص ١٢٨ ، ١٤٢

بسيطه بينها . بل نجد ابوابا بكاملها نسخه طبق الاصل عن الكتاب السابق .

اما عن مؤلف الكتاب الذى نحن بصدده فهو العلامه الماوردى الشافعى ، امام من اهل الشافعيه صاحب التصانيف ، قاضى القضاه .

قال عنه الزركلى فى ترجمته " هو على بن محمد بن حبيب ، ابو الحسن الماوردى اقضى القضاه فى عصره من العلماء الباحثين ، اصحاب التصانيف الكثيرة النافعه ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد ، وولى القضاء فى بلدان كثيرة ثم جعل " اقضى القضاه " فى ايام القائم بامر الله العباسى وله من المكانه الرفيعه عند الخلفاء وكبار الامراء ، نسبته الى ماء الورد ، ووفاته ببغداد ومن كتبه " ادب الدنيا والدين " " والاحكام السلطانيه " والحاوى فى فقه الشافعيه — نيف وعشرون جزءا ، وادب القاضى وغيره . (١)

اما عن الكتاب — الرتبه فى طلب الحسبه —

فقد ضمنه المولف سبعين بابا ، اتبع منه الامام الماوردى مسلكا فقهيا عمليا فهو يورد لكل باب ما يتعلق به من احكام وكيف يتم الاحتساب فيه .

وقد جاء فى مقدمه الكتاب ان الكتاب للماوردى : قال فيه بعد البسمله " قال الشيخ الامام العالم العلامه (٢) ابو الحسن نورالدين على بن ابى عبدالله محمد الماوردى الشافعى رحمه الله " الحسبه من الامور الدينيه ، وقد كان ائمه الصدر الاول يباشرونها بانفسهم

---

(١) الاعلام لخير الدين الزركلى جـ٤ صـ٣٢٧ لبنان / دار العلم للملايين

(٢) هذه المقدمه بالطبع من الناسخ والا لا يمكن ان يقول الامام الشافعى عن نفسه العالم العلامه ويصف نفسه بالعلم .

لعموم ملاحها .... وهذه العباره هي نفسها الوارده في نهايه كتاب " الاحكام السلطانيه " للماوردي عند طريقه لموضوع الحسبه في اخر كتابه ، وهذا يعزز ان الكتاب لنفس الامام ، الا ان هنالك ملاحظات تجعلنا نتوقف عن هذا الحكم منها ان الكتاب يورد اسماء بعض العلماء الذين جاءوا بعد الماوردي ، كالغزالي رحمه الله ت ٥٠٥ هـ بينما الماوردي ت ٤٥٠ هـ ، وهذا غير ممكن اللهم الا ان نقول ان الناسخ ادخل بعض اقوال العلماء الذين جاءوا بعد الماوردي كالغزالي وغيره لزياده الفائده ، ويبقى الاصل للماوردي مع زياده اقوال العلماء .

وهي مسأله في رايينا تحتاج الى تحقيق . وعلى ايه حال فالكتاب كما ذكرت وقع في سبعين بابا ذكر فيه الامام الماوردي في بابه الاول (ذرائط وصفه المحتسب) قال فيه " والمحتسب من ندبه الامام او نائبه للنظر في اهل الرتبه والكشف عن امورهم ومصالحهم وابتياعاتهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . (١)

وجاء في بعض ابواب " الحسبه في الجزارين " والحسبه على مذكرات الاسواق " " وعلى البزازين " وعلى (الحاكه " وغيرها من الصنائع ، وجاء في باب الحسبه على الطباخين " قوله " ويؤمرون بتغطيه اوانيهم وحفظها من الذباب ودوام الارض بعد غسلها بالماء الحار والاشنان ، وان لا يخلطوا لحم الملتز بلحم الضأن ولا لحم الابل من لحم البقر لئلا ياكلها

---

(١) الرتبه في طلب الحسبه المنسوب للماوردي ورقه ٤ من المخطوط

من به مرض فتكون سببا لنكسته .... الخ (١)

وكذلك تطرق الى مؤدبي الصبيان ، والحسبه على القوامه والمؤذنين فقال في الباب السابع والاربعين من المخطوط " فواجب على المحتسب ان يشرف على الجوامع والمساجد ويامر قومتها بكنسها وتنظيفها من الاوساخ وتفقد حصرها من الغبار ومسح حيطانها وغسل قناديلها .... الخ (٢)

وكذلك تطرق المؤلف رحمه الله الى الحسبه على الوعاظ ، وقال يجب على المحتسب ان ينظر في امر الوعاظ ولا يمكّن احدا ان يتصدى لهذا الا من اشتهر بين الناس بالسديد من والخير والفضيله عالما بالعلوم الشرعيه ، حافظا للكتاب العزيز والاحاديث النبويه ويتحدث بمسائل يسأله عنها فان اجاب والا منع .... الخ .

وفي الباب الخمسين الذي يشتمل على معرفه الحد والتعزيرات "

وعند تطرق الامام الماوردي الى جريمه الزنا يذكر مثلا قوله " ونعني بقولنا زنا انه وطئ امرأه محرمه عليه من غير عقد ولا شبهه ولا ملك ولا شبهه ملك ، ونعني بالوطء تغيب الحشفه في الفرج ويضرب الرجل الحد والتعزير قائما واما المرأة فتضرب جالسه في ازارها لانها عوره ، فاذا كانت قائمه ربما انكشفت ويشد عليها ثيابها لتستتر بها .... واختلف الفقهاء في تغريب بعد حد (٣)

وهنا ياتي الامام الماوردي باراء الفقهاء ، وهو بذلك يسلك مسلكا فقهيا .

الى غير ذلك من الابواب في الحسبه على الصيارفه والولاه والقضاه وغيرهم .

---

(١) نفس المصدر ورقه ــ ٦٧ ــ

(٢) نفس المرجع السابق ورقه ٩٧ من المخطط .

" نهاية الرتبـــه فى طلب الحسبـــــــه "

عبدالرحمن نصر الشيزرى ت ٥٨٩ هـ

وهذا الكتاب كما يقول محققه انه للشيزرى والذى اضطربت الروايات فى اسمه ولقبه وكنيته فقيل هو الشيزرى ، والعدوى ، والشامى وغيرها من الالقاب ، وحتى حصـــل الاضطراب فى زمانه والمحقق ينقل عباره عن بروكلمان فى وفاه الشيزرى ، حيث ذكر بروكلمان ان وفاته سنة ٥٨٩هـ ، اى فى عصرنا العباسى ، ولكـــن لم يبين بروكلمان المراجع التـــى اعتمد عليها فى تحقيق هذا التاريخ . ، وتبرز قيمه كتاب الشيزرى فى انه قديم فى موضـــوع الحسبه حيث ان مؤلفه فـــى القرن السادس ، وجاء فى الكتاب عن الشيزرى انه اعده مختصرا لمواضيع الحسبه حيث قال :

فقد سالنى من استند لمنصب الحسبه ، وقلد النظر فى مصالح الرعيه وكشف احوال السوقه وامور المتعيشين ان اجمع مختصرا كافيا فى سلوك منهج الحسبه على الوجه المشروع (١) .

وقد جاء الكتاب فى اربعين بابا وهو كما ذكرنا عند عرض كتاب الماوردى السابق انـــه يكاد يكون نسخه طبق الاصل من كتاب الماوردى ان صحت نسبة الثانى للمولف الا ان كتـــاب الماوردى اوسع حيث تطرق الى حرف وصناعات اكثر فى ابوابه السبعين .

هذه بعض الكتب التى استقلت بمواضيع الاحتساب والتى الفت فى العصر العباســـــى .

---

(١) نهاية الرتبه فى طلب الحسبه للشيزرى ص ٣

وهناك كتب لم تؤلف او تستقل بموضوع الاحتساب بل ضمنت مواضيع تتعلق بالاحتساب منها كتاب "احياء علوم الدين" للامام الغزالي رحمه الله المتوفى سنه ٥٠٥ هـ .

فقد جاء في احياءه " موضوع مستقل عن الاحتساب تحت عنوان " كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " وهو موضوع تم حيث ذكر فيه الامام الغزالي فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمذمه في اهماله واضاعته .

وقد ذكر فيه اربعه ابواب :

(١) الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته .

(٢) الباب الثاني في اركانه وشروطه .

(٣) الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المألوفه في العادات .

(٤) الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

فحينما تطرق الى الاحتساب قال :

وله درجات وآداب : اما الدرجات ، فاولها التعرف ، ثم التعريف ، ثم النهي ، ثم الوعظ والتخويف ، ثم السب والتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب ، ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ، ثم الاستظهار منه بالاعوان وجمع الجنود "(١).

وهذه وغيرها من الامور التي ناقش فيها الامام الغزالي مسائل مهمه في الاحتساب تكفي بهذه الكتب ، وناتي بعدها الى بعض المحتسبين الذين ظهروا في العصر العباسي .

---

(١) احياء علوم الدين جـ٢ ص ٣٢٩ ط ١٩٨٢م / دار المعرفه بيروت

المبحث الثاني

****

" قائمة باسماء بعض المحتسبين الذين ظهروا في العصر العباسي "

هذه قائمة باسماء بعض المحتسبين ظهروا في العصر العباسي ، عسانا ان تكون نواة لكتاب يجمع تراجم المحتسبين لتكون بين يدي طالب الحسبة ، والتي يمكن ان يستنبط منها ، شروط المحتسب وآدابه واختصاصاته وكل ما يتعلق به .

وكما ذكرنا ان هذه الدراسة تحتاج الى استقراء كتب التراث ، المخطوط منها والمطبوع لاستخراج المحتسبين كما هو الحال بالنسبة للمحدثين والقضاة والفقهاء والمفسرين وهذا لاشك فيه يحتاج الى وقت طويل ، الا انه في نظرنا مهم ، ومهم جدا والعجيب ان الاهتمام بكتب الحسبة قليل ، كما ان عدد المحتسبين اقل على اهمية منصب الاحتساب وفضله ، واليك يا اخي اسماء بعض المحتسبين مع ترجمة ان وجدت لهم والاحالة الى المصادر التي استقيت منها اسمائهم وترجمتهم ان وجدت .

١ ـ القاضي ابراهيم بن عبدالله بن احمد بن سلامة الرطبي

ذكره السمعاني في كتاب " الانساب "[1] ، نقلا عن كتاب " الاستدراك .. المخطوط

---

(١) الانساب للسمعاني جـ٦ صـ١٢٧/ (والاستدراك) لابن نقطة ، يقوم بتحقيقه الاستاذ عبد الستار القدسي ، وقد ارسل لي جزاه الله خيرا ، رقم الورقه من مخطوط ابن نقطه (الاستدراك) وهي : الورقه ٢٠١ب ـ ٢٠٢آ ، فالحقتها هنا لتتم الفائده .

لابى بكر بن نقطه حيث قال عنه " كنيته ابو المظفر ، وكان محتسبا ببغداد ، وكان فيه دين ويقظه توفى سنه خمس عشر وستمائه ، مولده سنه اثنين واربعين وخمسمائه .

٢ ــ ابراهيم بن بطحاء

ذكره الماوردى ، وقال " وقد مر ابراهيم بن بطحاء والى الحسبه بجانبى ببغداد ، بدار عمر بن حماد وهو يومئذ قاضى القضاه فراى الخصوم جلوسا على بابه ينظرون جلوسه للنظر بينهم ، فاحتسب عليه (١) .

٣ ــ احمد بن على بن الحسين بن محمد بن موسى ، ابو الحسين المعروف (بابن التوزى) .

قال عنه الخطيب البغدادى " كان صدوقا كثير الكتاب ، توفى سنه اثنين واربعين وربعمائه (٢)

٤ ــ الحسين بن احمد بن يزيد بن عيسى (ابوسعيد الاصطخرى) .

قاضى " قم " احد الرفعاء من اصحاب الوجوه ، سمع عن كثير من المشايخ ، وروى عنه الكثير منهن " الدار قطنى " مولده سنه اربع واربعين ومائتين .

قال الخطيب : كان احد الائمه المذكورين ، من شيوخ الفقهاء الشافعيين ، وكان ورعا زاهدا ، متقللا ، وقال ابو اسحاق المروزى ، لما دخلت بغداد ، لم يكن بها من يستحق ان ادرس عليه الا ابوسعيد الاصطخرى ، وابو العباس ابن شريج .

---

(١) الاحكام السلطانيه : الماوردى ص ٢٥٧

(٢) تاريخ بغداد الخطيب البغدادى جـ٤ ص ٣٢٤ / طبعه دار الكتاب العربى ببيروت

قال القاضي ابو الطيب : كان من الورع والدين بمكان ، ويقال ان قميصه وسراويله وطيلسانه من خرقه واحده ، وكانت فيه حده ، له تصانيف كثيرة منها كتاب " ادب القضاء " ليس لاحد مثله ولي حسبه بغداد ، فكان يدور بها ، ويصلي على بغلته ، وهو دائر بين الازقه .

قال الداركي : كان ابو اسحاق المروزي يفتي بحضوره الاساخرون الا باذنه ومن اخباره في حسبته ، انه كان ياتي باب القاضي ، فاذا لم يجده جالسا يفصل القضايا امر ان يستكشف عنه ، هل به عذر يمنعه من الجلوس ، من اكل او شرب ، اوحاجه انسان ، ونحو ذلك ، فان لم يجد عذرا امره بالجلوس للحكم .

ومن اخبار حسبته ايضا ، انه احرق مكان الملاهي ، من اجل ما يعمل فيه من الملاهي وهذا دليل على انه كان يرى جواز افساد مكان الفساد ، اذا تعين طريقا .

له اراء كثيرة في الفقه الشافعي ، توفي وقد قارب التسعين رحمه الله (١)

٥ ــ الحسين بن احمد الحجاج ــ ابوعبدالله الشاعر ــ

كان من اولاد العمال والكتاب ، وكانت اليه حسبه بغداد في ايام عز الدوله فاستخلف عليها سته انفس كلهم لاخير فيه ، ثم تشاغل بالشعر وتفرد بالسخف الذي يدل على خساسه النفس فجعل الاموال به ودار ممن يتقي لسانه وحمل اليه صاحب مصر ، من مديح مدحه به

---

(١) انظر ترجمته في / طبقات الشافعيه للسبكي جـ٣ صـ ٢٣٠ طـ اولى ١٩٦٥م / وذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب جـ٢ صـ٣١٢/ والبداية والنهاية لابن كثير جـ١١ صـ ١٩٣

الف دينار مغربيه توفى سنه ٣٩١ هـ.(١)

٦ ـ ابوسعيد ، سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى الملقب (سحنون)

سحنون اول من نشر فى الحسبه من القضاه ، امر بتغيير المنكر ، واول من فرق البدع من الجامع وشرد اهل الاهواء وقدم للحسبه امناء.(٢)

٧ ـ عاصم بن سليمان الاحول

هو الحافظ ، محدث البصره ابوعبدالرحمن البصرى ، الاحول ، محتسبا بالمدينه.

٨ ـ شرف الدين عبدالله بن يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزى

ولى الحسبه ، ثم تزهد ودرس بالبشيريه ، وكان المستعصم (اخر خلفاء بنى العباس) بعثه بخطه الى هولاكو التترى ، وعاد الى بغداد ثم قتل ابيه يوسف بن عبدالرحمن عند وصول هولاكو ودخوله بغداد .

٩ ـ جمال الدين ابوالفرج عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزى

درس بالمدرسه المستنصريه ببغداد ، وكان فاضلا بارعا ، ولى الحسبه بغداد وكان يعظ بمكان ابيه وجده بباب "بدر" ويقال ان له تصانيف ، كان مولده سنه ست وستمائه ، حدث ببغداد ومصر.(٤)

---

١ ـ المنتظم لابن الجوزى ج٧ ص١١٦ـ١١٧ ط١٣٥٨هـ

٢ ـ البدايه و النهايه ج١٠ ص٣٢٤/ط١٩٨٠ /معالم الايمان فى معرفه اهل القيروان للدباغ ص٨٧ /تاريخ قضاه الاندلس للنباهى الاندلسى ص٢١ ط١٩٤٨

٣ ـ ذيل طبقات الحنابله لابن رجب الحنبلى ج٤ ص٢٦٢

٤ ـ نفس المرجع السابق ج٤ ص٢٦١ـ٢٦٢

١٠ ــ تاج الدين عبدالكريم بن يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزى

ولى الحسبه ايضا لما تركها اخوه ، ودرس بالمدرسه الشاطبيه ، وقتل ولم يبلغ عشرين سنه رحمه الله (١)

١١ ــ عبيدالله بن على بن الحسين بن اسماعيل ، ابوالعباس الهاشمى .

امام جامع الرصافه فى بغداد واليه الحسبه فيها . توفى سنه ٢٨٤ (٢)

١٢ ــ ابا الحسين عمر بن الحسين بن على الشيبانى المعروف (بابن الاثنانى)

ولى منصب القضاء فى زمن المقتدر ، وكان قبل ذلك محتسبا ببغداد وله من الكتب ، كتاب " قتل زيد بن على " وكتاب " الخيل " وكتاب " فضائل امير المومنين على ابن ابى طالب ، وكتاب مقتل الحسن بن على عليهما السلام . (٣)

١٣ ــ محمد بن احمد بن على مخلد بن ابان ، ابوعبدالله الجوهرى المحتسب ويعرف (بابن المحرم)

حدث عن ابى اسماعيل الترمذى ، ولد سنه ٢٦٤ وتوفى سنه ٣٥٧ . (٤)

---

١ ــ ذيل طبقات الحنابله لابن رجب الحنبلى ج٤ ص ٢٦٢

٢ ــ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج١٠ ص ٣٣٩

٣ ــ البدايه والنهايه لابن كثير ج١١ ص ١٤٥ / الفهرست لمحمد بن النديم ص ١٦٦ طبيروت

٤ ــ تاريخ بغداد الخطيب البغدادى ج١ ص ٣٢٠

١٤ ــ محمد احمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادى .

المؤرخ ، لازم ابا الفرج الجوزى مده ، واخذ عنه ، وقرأ عليه كثيرا من تصانيفه ومروياته .

جمع تاريخا فى نحو خمسه اسفار ، سماه درة الاكليل فسى تتمه التذييل استنابـــه يوسف بن الجوزى فى الحسبه بباب " الازج " وسوق العجم وماولاها ، سوى "سوق الحريم " فاقام على ذلك مده يسيره ثم عزل .

قال ابن النجار ، توفى ليله السبت لاربع خلون من ربيع الاخر منه اربع وثلاثين وستمائه (١)

١٥ ــ محمد بن عبدالله بن الحسين السامرى الفقيه الفرضى ابوعبدالله ويعرف (بابن سنينه)

بسين مهمله مضمومه ونونين مفتوحتين بينهما ياء ساكنه . هكذا ذكره ابن نقطه .

ولد سنه خمس وثلاثين وخمسمائه بسامراء ، ولى القضاء بسامراء واعمالها مده ثم ولى القضاء والحسبه ببغداد ، ثم عزل عن القضاء ، وبقى على الحسبه ، كان شيخا فاضلا نبيلا ، حسن المعرفة بالمذهب والخلاف ، له مصنفات منها كتاب " الفروق " والبستان " فى الفرائض .

توفى سنه ستعشره وستمائه ببغداد . (٢)

---

(١) ذيل طبقات الحنابله ابن رجب الحنبلى جـ٢ صـ ٢١٢

(٢) ذيل طبقات الحنابله لابن رجب الحنبلى جـ ٤ صـ ١٢١

١٦ ــ محمد بن عبدالرحمن ، ابوبكر القاضي المعروف (بابن تريعه) .

قال الخطيب البغدادي " كانت الحسبه ببغداد الى ابن " تريعه " وبعد ان ذكر ترجمته قال انه كان كثير النوادر ، حسن الخاطر عجيب الكلام ، يسرع بالجواب المسجوع المطبوع من غير تحمل له ، ولا تعمل فيه .... الخ . وتوفي في يوم السبت للعشر بقين من جمادى الاخره سنه سبع وستين وثلثمائه .(١)

١٧ ــ ابن الهادي ، محتسب دمشق رشيد الدين محمد بن عبدالكريم بن يحيى العيسى الدمشقي .

قال عنه الذهبي " شيخ وقور مهيب عفيف ، سمع ابن عساكر ، وابا المعالي بن صابر ، توفي في جمادى الاخره عن سبع وثمانين سنه ، وقد ذكره الذهبي وهو يؤرخ لسنه سبع وثلاثين وستمئه .(٢)

١٨ ــ محمد بن عبيدالله بن علي بن الحسين بن اسماعيل .

قال الخطيب عنه " كان يتولى حسبه بغداد والصلاه في مسجد الرصافه من سنه ٥٨٤ الى حين وفاته سنه ٣٠٠ هـ .(٣)

---

(١) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي جـ٢ صـ٣١٧ ــ ٣٢١ طـ دار الكتاب العربي بيروت وانظر ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان جـ١ صـ٥١٧

(٢) العبر في خبر من غبر الحافظ شمس الدين الذهبي جـ٥ صـ١٥٥

(٣) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي جـ٢ صـ٣٣٠

١٩ ــ محمد بن ياقوت.

قال ابن كثير ، وفي سنه تسع عشره وثلثمائه ، وقعت وحشه بين الخليفه ومونس بسبب ان الخليفه ولى الحسبه لرجل اسمه محمد بن ياقوت وكان اميرا على الشرطه ، فقال مؤنس ، ان الحسبه لا يتولها الا القضاه العدول ، وهذا لا يصلح لها ولم يزل بالخليفه حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبه والشرطه ايضا.(١)

٢٠ ــ الحاكم ابو نصر منصور بن محمد بن احمد بن حرب المحتسب ،

صنف وجمع ، كان محتسب بخارى مده طويله ، رحل فى طلب الحديث الى العراق والشام وغيرهما ، مات ببخارى سنه احدى وثمانين وثلاثمائه ، وكان ثقه.(٢)

٢١ ــ نافع بن عبدالرحمن بن ابى نعيم المقرى .

احد القراء السبعه ، وروى عن نافع راويان ، وهما ورش وقنبر وكان نافع امام اهل المدينه فى القراءة ويرجعون الى قراءته ، وكان محتسبا فيه وعابه ، وكان اسود شديد السواد وترا مالك عليه القران ، وهو غير نافع مولى عبدالله بن عمر المحدث توفى سنه تسع وستين ومائه

---

(١) البدايه والنهاية ابن كثير جـ١١ ص ١٦٦ / وانظر " الكامل " لابن الاثير جـ٦ ص ٢١٢ ، ٢١٣

(٢) اللباب فى تهذيب الانساب عزالدين ابن الاثير الجزرى جـ٣ ص١٧٣ دار صادر بيروت

٢٢ ـ هارون بن ابراهيم الهاشمي .

ولي الحسبه ببغداد ، فامر اهل بغداد ان يتعاملوا بالفلوس فتعاملوا بها على كره ثم تركوها .(١)

٢٣ ـ ابو زكريا يحيى بن عبدالله المحتسب .

قال عنه الخطيب " يحيى ابن زكريا " ، ولي الحسبه فاستغوى العامه وزين لهم الجموع فقتله او جعفر المنصور ، وقال ابن الاثير الجزري " وكان ابو زكريا يحيى بن عبدالله محتسب بغداد ، له مع ابراهيم ـ وهو اخو محمد الذي ظهر في المدينه من اولاد ابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب ـ الذي خرج على المنصور فقتله المنصور ـ فكان ابو زكريا يحيى بن عبدالله ، له مع ابراهيم **هيل** فجمع جماعه من السفله فشغبوا على المنصور فسكنهم واخذ ابا زكريا فقتله "(٢)

٢٤ ـ يوسف بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي التيمي ، البغدادي .

قال عنه ابن رجب " الفقيه الاصولي الواعظ الصاحب الشهير ، محي الدين ، ابو محمد ابو المحاسن ، ابن الشيخ جمال الدين ابي الفرج ، استاذ دار الخلافه المستعصميه ولد سنه ثمانين وخمسمائه ببغداد ، سمع من كثير من المشايخ ، وقرأ القران بالروايات العشر

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص٣٦٦

(٢) انظر الكامل ابن الاثير الجزري جـ٥ ص٢٠ / وانظر تاريخ بغداد الخطيب البغدادي جـ١ ص٧٩

على ابن الباقلاني بواسط ، وقد جاوز العشر سنين من عمره واشتغل بالفقه والخلاف والاصول ، وبرع في ذلك ، وكان امهر فيه من ابيه ، ووعظ في صغره في قاعده ابيه وعلا امره وعظم شأنه وولي الولايات الجليله .

قال ابن الساعي : شهد عند ابيه الدامغاني سنه اربع وستمائه ، ثم ولي الحسبه بجانبي بغداد ، والنظر في الوقوف العامه ، ووقوف جامع السلطان ، ثم عزل عن الحسبه ، فانقطع في داره يحدث ويفتي ويدرس ، ثم اعيد الى الحسبه سنه خمس عشره واستمر مده ولايه الناصر ثم اخره ابنه الظاهر .(١)

٢٥ ــ ابو جعفر بن الخرقي .

رتب في الحسبه (بالحريم) وكان التطفيف فاشيا ، والامور فاسده ، فاخذ وعدا من عميد الدوله بان لا يجيب شفاعه ، فحزم الامور واقام الهيبه ، وادب وعزر ولم يقبل شفاعه فانحرست الامور وانحسمت الادواء .(٢)

٢٦ ــ الدانياني .

" كان محتسبا في زمن المقتدر "(٣)

---

(١) انظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابله لابن رجب جـ٤ صـ٢٥٨

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ابن الجوزي جـ٨صـ٣٢٢ ط الاولى / ١٣٥٩ حيدر اباد .

(٣) الفخري في الاداب السلطانيه والدوله الاسلاميه "لابن طقطقا " صـ٢٧٤/ط ١٩٦٦ بيروت .

٢٧ ـ الاسمـــــــر .

من اصحاب الامير توزون ، ولى على الحسبه ببغداد ، وكان توزون امير الامراء انذاك .(١)

٢٨ ـ القاضى ابو العباس بن الرطبى .

قال ابن الاثير " فيها ـ اى سنه ٥٠١هـ ـ ولى القاضى ابو العباس بن الرطبى الحسبه ببغداد .(٢)

٢٩ ـ ابا عبدالله الخومينى .

قال عنه التوخى " حضرت ابا عبدالله الخومينى عامل سوق الاهواز وكـــان الخومينى من رجال دوله الامير معز الدوله البويهى .(٣)

٣٠ ـ ابو القاسم الجهنى .

تولى الحسبه فى البصره ، من قبل ابى جعفر الصميرى ـ وهو وزير معـــز الدوله ـ فسمعت اذ ذاك شيوخنا يقولون : انهم ما شاهدوا ولا سمعوا ، من بلغ مبلغـــه فى ضبط العامه ، ورفع الغشوش .(٤)

---

(١) اخبار الراضى والمتقى ابى بكر محمد بن يحيى الصولى .

(٢) الكامل ابن الاثير الجزرى جـ٨ ص ٢٥١

(٣) نشوار المحاضرة التنوخى جـ١ ص ٢٤٨

(٤) معجم الادباء ياقوت الحموى جـ١٣ ص ١٢٣ / " نشوار المحاضرة واخبار المذاكره للقاضى ابو يعلى التنوخى جـ٢ ص١٠٨

٣١ ـ الكوكبـــــــــى ٠

محتسب الاهواز ، قال عنه التنوخـــى " كان الكوكبـــــى محتسبـا

(١)
عندنـــــا من قبل اخى ام موسى القهرمانه ٠

---

(١) نشوار المحاضره واخبار المذاكرة للتنوخى جـ٢ صـ١١٠

" الخاتمـــــــــــــــــه "

لقد بقى منصب الاحتساب منصبا مهما فى تاريخ الدوله العباسيه ـ رغم اختلاله فى بعض الفترات ـ وولايه الحسبه بقيت تمثل جزءا من الهيكل الادارى للدوله التى لاغنى لها عنه وظل دور المحتسب فعالا فى مجال الاداب والاخـــلاق والاقتصاد والسياسه وغيرها من المجالات حفاظا على المجتمع الاسلامى من التدهـور وعلى الحضاره من الدمار .

لقد تبين لنا ان من خلال مبدأ الاحتساب ، ان المحتسب يبقى رقيبا علــــى تطبيق شرع الله من ان يصيبه التعطيل او ان يستغل لمصلحه فئه معينه ، فالشرع يضعه فوق الجميع ، فوق السلطه والشعب ، فلا اهواء ولا ضلال ، بل هو الحق والهــــدى واذا كانت الشريعه فى نظر انصار القانون الوضعى هو ان يخضع الجميع للقانــــــون واعتبروا هذا مبدأ رائعا جاء به الفكر القانونى ، فما هو القانون الذى يخضع لـــــــه الجميع ، انه من صنع البشر ، وهو يصاغ حسب ما تشتهيه الطبقه الحاكمـــه وكيفمــــا ارادت ، تسوغ الاجرام قواعد وتنسج الكفر والفسوق مبادىء ، لتخدع الجماهيــر بحجـــــه الشرعيه ، وهى التى تبدل هذا القانون متى ارادت ومتى مارأت مصلحتها .

ان الشرعيه الحقيقيه هي سياده شرع الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " ان وظيفه المحتسب تبرز هنا واضحه في تطبيق مبدأ الشرعيـــــه والرقابه عليه .

لقد بقيت ولايه الحسبه ولايـه مستقله متميزه في العصر العباسي ، وهـي تعمل ضمن استقلاليه ، وان كانت في بعض الاحيان تعمل متعاونه مع القضـــاء والشرطه .

ان وليفه الحسبه واهميتها يزداد يوما بعد يوم ، خصوصا وقد تطورت الحياه بشتى صورها ، بما في ذلك الفكر الاداري ، ولذلك لابد ان يتطور جهاز الاحتساب ليتسع ويواكب ما جاء به العصر وما استجد فيه من امور تتعلق بدائرته وان هـــذا يقتضي وقبل كل شئ بيان وتوضيح هذه الولايه ، بعد ان اندرست معالمها او تكاد حتى في اذهان كثير من ابناء الاسلام .

اذن لابد من بيان هذا الجهاز وبيان وظيفته ، ولابـأس ان نستفيد مـن الاداره المعاصره والمواضيع الاخرى التي لها مساس بهذا الجهاز والتي تودي الى تقدمه بشرط الا يتعارض هذا مع شريعتنا الغراء ، وتكون الشريعه الاسلاميه هـــي القول الفصل في الموضوع .

فلا بأس ان ناخذ الجانب الفنى للادارة المعاصره وتطبيقها فى جهاز الحسبه لترجع الى هذا المنصب هويته واهميته .

واذا كان هناك من جهد يبذل فى هذا المجال ، فهو بالدرجه الاولى يقع على الاقسام المتخصصه فى هذا الموضوع ـ واقصد اقسام الحسبه ـ بما فيها قسم الدعوه والاحتساب بالمعهد العالى للدعوه الاسلاميه واول خطوه نراها ـ على الاقل من الجانب العملى .

(١) هو ايجاد مكتبه تجمع كل كتب الحسبه من مطبوع ومخطوط وهذه تسهل على من يهتم بهذا الحقل ان يجد المحتسبين وتطبيقاتهم العمليه ، كوقائع يمكن الاعتماد عليها والاستنباط منها ، بالاضافه الى حث الطلاب على تحقيق المخطوطات المتعلقه بالموضوع .

(٢) دراسه كتب التراث والخروج بتراجم كافيه للمحتسبين وما يتعلق بامورهم واعمالهم واحتسابهم .

(٣) ان يعد طالب الحسبه اعدادا يستطيع بعده ان ينتج فى مجال تخصصه ، ومن العلوم التى تعنيه فى نظرنا ، دراسه المسائل الفقهيه المتعلقه بالموضوع والتى لاغنى له عنها فى هذا المجال ، كمواضيع القضاء والجنايات وغيرها ، وكذا المظالم والشرطه

فهما قريبان من الحسبه • وكذلك دراسه الادارة والفكر الادارى المعاصر وما وصل اليه ومن نظم جديده •

(٤) ايجاد جهاز متكامل يتكون من الرئيس الاعلى — يكون عالما فقيها ورعا له من الصفات ما تؤهله لهذا المنصب العظيم ، كما يكون لهذا الجهاز مجلس استشارى من جميع التخصصات التى تدخل ضمن رقابه المحتسب ، ويشترط ان يكون العضو فى هذا المجلس متقن لاختصاصه ، على علم بامور الشرع المتعلقه بهذا الاختصاص الذى هو فيه •

واقصد لا يشترط فيه من العلوم الشرعيه ما يشترط فى الرئيس ، واعضاء هذا المجلس مثلا عضو متخصص بالطب ، يحتسب على كل ما يتعلق بالطب ، كالحسبه على الاطباء والمستشفيات ونظافتها وغير ذلك من ناحيه الرقابه الاداريه فقط فينكر ما يراه من منكر ويامر بمعروف ان وجده متروكا •

وربما يسأل البعض وما شأن وزارة الصحه ، نقول المحتسب فى هذا شأنه فقط الرقابه الاداريه اما بناء المستشفيات او تعيين الاطباء او امتحانهم الى غير ذلك فهو لا يدخل ضمن اختصاصه وهو يتبع وزارة الصحه ، وكذلك المحتسب على الصيادلة ، والصرافين ، والاسواق وغيرها ومن هذا المجلس يعين الموظفون

والاعوان والمساعدون وغيرهم مما يكل الجهاز به .

(٥) ادخال اصحاب الاختصاصات غير الشرعيه من المحتسبين ، كالاطباء والصيادله وغيرهم في دورات لدراسه الامور الشرعيه المتعلقه باختصاصاتهم ولمعرفه اهميه مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاله في التطبيق .

هذا وفي الختام نحمد الله تعالى ونسأله العفو والمغفره ، ونصلي ونسلم على رسوله الامين وعلى اله وصحبه وسلم .

مـــــراجـــع البحـــث

١ــ القـــران الكـــريم

١ــ احـكام القـران لابى بكر احمد بن على الجصاص / دار الكتاب العربى

٢ــاحكام السـوق يحيى بن عمر تحقيق حسن حسنى / الشركه التونسيه

٤ــاحكام اهل الدمه لابن القيم الجوزيه تحقيق د ٠ صبحى الصالح

٥ــالاحكام السـلطانيه للمـاوردى / ط ١٣٦٨ هـ/ بيروت

٦ــالاحكام السـلطانيه لابى يعلى الحنبلى / ط١٩٦٦م

٧ــاحيـاء علوم الدين لابى حـامد الغزالى ط ١٩٨٢م

٨ــاخبار الدول واثار الاول فى التاريـخ للقرمـانى ط١١٨٢هـ

٩ــاخبار مكـه للازرقى ط١٣٩٨هـ /مكه المكرمه

١٠ــاخبـار القضاء لوكيع عالم الكتب / بيروت

١١ــ اخبار الراضى والمتقى للصولى

١٢ــالاداب الشـرعيه محمد بن مفلح المقدسى ط١٩٧٧م

١٣ــ اصول الدعوه عبد الكريم زيدان ط١٩٧٦م

١٤ــ الاصناف فى العصر العباسى (نشاتها وتطورها) صباح ابراهيم الشيخلى

١٥ــالاعـــلام للـــزركلى

١٦ــالامـامه والسـيا سه لابن قتيبه الدينورى / تحقيق د ٠ طه الزينى /بيروت

١٧ــ الامر بالمعـروف والنهى عن المنكر لابى بكر الخلال / تحقيق عبد القادر احمد

١٨ــالامر بالمعروف والنهى عن المنكر عبد المنعم عبد الستار / المكتب الاسلامى

١٩ــ الانسـاب للسـمعانى

٢٠ــاهل الذمه فى الاسلام د ٠ ا ٠ س ترتون

٢١ــاهل الذمه فى مصر العصور الوسطى د ٠ قاسم عبده قاسم

٢٢ــالاوائـــل لابن هـلا ل العسـكرى تحقيق وليد قصـاب

٢٣ــ البدايه والنهايه لابن كثير

٢٤ــتاج العـــروس للزبيدى / تحقيق علـى الهلالى ط١٩٦٦ / الكويت

٢٥ــتاريـخ بغداد للخطيب البغدادى / بيروت

تـــابع لمـــراجع البحـــــث

٢٦ـ تاريخ الخلـفاء للســـيوطى

١٢ـ تاريخ قضـاه الاندلـس للنباهى الاندلسـى

٢٨ـ تاريخ الامم والملـوك للطـبرى ط/الاولى /دار الفكر العربى

١٩ـ التحفه الملوكيه فى الاداب السياسيه المـــاوردى

٣٠ـ تذكره الحفـــاظ للذهبـى

٣١ـ تفسير القران العظيم لابن كثير دار الفكر

٣٢ـ تهذيب تاريخ دمشـق الكبير عبد القادر بدران

٣٣ـ التيسـير فى احكام التسـعير للمجيلـــدى

٣٤ـ جـامع احكام القران للقرطبى دار احياء التراث العربى /بيروت

٣٥ـ الحسـبه عبد الرزاق الحسان / بغداد ط/١٩٤٦

٣٦ـ الحســبه فى الاســلام لابن تيميـه / دار الفكـر العربى

٣٧ـ الحسـبه فى الاسـلام ابراهيم دسوقى ط/ ١٩٦٢م

٣٨ـ الحسـبه والمحتسـب فى الاسـلام موسى لقبـال / بيروت

٣٩ـ الحسـبه المذهبيه فى بلاد المغرب العربى موسى لقبـال / الجزائر

٤٠ـ الحضـاره الاسـلاميه فى القرن الرابع الهجرى ادم متز ط ١٩٦٧م

٤١ـ حضاره العرب فى العصر الاسـلامى الزاهر د٠ مصطفى الرافعى

٤٢ـ الحواضر الاسلاميه الكبرى / د٠ عصام الدين عبد الرووف ط١٩٧٦م

٤٣ـ الحياه الاقتصاديه والاجتماعيه فى نجد والحجاز فى العصر الاموى
د٠ عبد الله محمد السيف ط ١٤٠٢م

٤٤ـ الحياه السياسيه ونظم الحكم فى العراق خلال القرن الخامس عشر
فاضل الخـــالدى

٤٥ـ الـــخراج لابى يوســـف

٤٦ـ دوله بنى العباس د٠ شاكر مصطفى الكويت /ط الاولـى

٤٧ـ ذيـل طبقـــات الحنابلـه لابن رجـب الحنبلـى

٤٨ـ الـــرتبه فى الحســـبه (مخطوط)

الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحـــه
	١ - ٦
المقدمه	٧
مفهوم الاحتســـاب : تعريف الحسبه لغه واصطلاحا	١٠
صورتا الحسبه ، الفرق بين المتطوع والمحتسب .	
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اهميته ، وفضله ، ودوره فى بناء المجتمع المسلم	١٤
الحـــاله السياســيه للعصر العباسى	٢١
الحـــاله الاجتماعيه للعصر العباسى	٢٩
تطور الاحتساب حتى العصر العباسى	٣٧
كيفيـــه الاحتســـاب فى العصر العباسى :	٤٣
الاحتساب على ذى الجاه والسلطان	٤٣
الاحتســـاب على اهل الذمه	٥١
الاحتســـاب على الاســـواق	٥٦
[illegible] العصر العباسى	٦٥
الشروط التى كانت [illegible] القضاء والمظالم	٨٠
تكيف طبيعه عمل المحتسب [illegible] فى العصر العباسى .	٨٢
اشـــهر الكتب التى الفت فى العصر العباسى	٨٧
اشـــهر المحتسبين الذين ظهروا فى العصر العباسى	٩٩
الخاتمـــــه	١١١

تابع لمراجع البحث

٧٥ـ القضا في الاسلام د ٠ محمد عبد القادر ابو الفوارس /ط١٩٧٨م

٧٦ـ الكامل لابن الاثير الجزوى

٧٧ـ كتاب بغداد لابن طيفور

٧٨ـ اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير الجزرى

٧٩ـ لسان العرب لابن منظور / اعداد يوسف خياط / بيروت

٨٠ـ البتكر الجامع لكتابي المختصر والمعتصر عبد الوهاب عبد اللطيف /ط١٩٦٦م

٨١ـ محاضرات في تاريخ الامم الاسلاميه (الدوله العباسيه) / خضرى محمد بك

٨٢ـ المختصر في تاريخ البشر لابي الفداء اسماعيل /ط١٩٥٦م

٨٣ ـ معالم القربه في طلب الحسبه لابن الاخوه القرشي

٨٤ ـ معالم الايمان في اهل القيروان

٨٥ ـ معجم الادباء ليـ[illegible] ط/ الاخيره

٨٦ـ معرفه القراء الكبار للذهبي /ط الاولى / مصر

٨٧ـ مقدمه ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون / دار الفكر

٨٨ـ مناقب امير المومنين عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن الجوزى

٨٩ـ المنتظم في تاريخ الامم عبد الرحمن بن الجوزى /ط١٣٥٧هـ

٩٠ـ الموسسات الاداريه حسام السامرائي

٩١ ـ ميزان الاعتدال للذهبي / تحقيق على محمد البجاوى

٩٢ـ نشوار المحاضره واخبار المذاكره للتنوخي

٩٣ـ نظام الحسبه في الاسلام حتى عصر المامون رشاد معتوق

٩٤ـ النجوم الزاهره للتغربردى

٩٥ـ نصاب الاحتساب للسنامي /تحقيق د ٠ موئل السامرائي /ط١٩٨٣م

٩٦ـ النظم الاسلاميه موريسبن غ ٠ ديمويين / نقله الى العربيه صالح الشماع /ط١٩٥٢